بسم الله الرحمن الرحيــم

شـــــــــــرح
الأربعيـــن الـــنـــوويـــــة

للإمام النووي رحمه الله

الجزء الثاني
من الحديث : 21 – 42

بقلم
سليمان بن محمد اللهيميد
السعودية – رفحاء
الموقع على الإنترنت
www.almotaqeen.net

الحديث الحادي والعشرون

عن سفيان بن عبد الله قال . قلت : يا رسـول اللـه ! قـل لـي فـي الإسـلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيـرك ؟ قـال : قـل آمنـت بـالله ثـم استقـــم) رواه مسلم .

معاني الكلمات :
قل لي في الإسلام قولاً : أي قولاً جامعاً لمعاني الدين .
آمنت بالله : أي الإيمان الكامل الذي يشمل اعتقاد القلب وقول اللسان وعمـل الجوارح .
استقم : الاستقامة هي المداومة على فعـل مـا ينبغـي فعلـه وتـرك مـا ينبغـي تركـــه .

الفوائد :

1- وجوب الإيمان بالله تعالى .

2- أن أول واجب على الإنسان هو الإيمان بالله تعالى .

3- فضل من آمن ثم استقام على طاعة الله واستمر على ذلك .

فضائل الاستقامة بعد الإيمان :

أولاً : تتنزل عليهم الملائكة وتبشرهم بالجنة وعدم الخوف .

قال تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ .

قوله [تتنزل عليهم الملائكة] :

قيل : عند الاحتضار ، وقيل : يوم خروجهم من قبورهم ، وقيل : يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث ، واختار هذا القول ابن كثير وقال : " وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً " .

ثانياً : الاستقامة سبب لبسط الرزق .

قال تعالى : ﴿ وألوا استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً ﴾ .

قال القرطبي : " أي لو آمن هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق " .

ثالثاً : أن الله أمر نبيه بالاستقامة .

قال تعالى : ﴿ فاستقم كما أمرت ... ﴾ .

كان الحسن يقول : " اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة " .

4- **لا يلزم من الاستقامة عدم الوقوع بشيء من المعاصي فقد قال تعالى (فاستقيموا إليه واستغفروه) .**

قال ابن رجب : " فيه إشارة إلى أنه لا بد من التقصير في الاستقامة المأمور بها ، فيجبر ذلك الاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة ، فهو كما قال النبي ﷺ لمعاذ (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها) ، وقد أخبر النبي ﷺ أن الناس لن يستطيعوا الاستقامة حق الاستقامة ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة . عن النبي ﷺ قال (سددوا وقاربوا) فالسداد هو حقيقة الاستقامة ، وهو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد ، والمقاربة أن يصيب ما قرب من الغرض إذا لم يصب الغرض نفسه ، ولكن بشرط أن يكون مصمماً على قصد السداد وإصابة الغرض ، فتكون مقاربته عن عمد " .

5- **وأعظم ما ينبغي مراعاته في الاستقامة استقامة القلب ، فهو ملك الأعضاء وهي جنوده ، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه .**

وكذلك مما ينبغي مراعاة استقامته بعد القلب اللسان ، فإنه ترجمان القلب .

ولذلك قال ﷺ (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان ، تقول : إن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا) رواه الترمذي .

وجاء في حديث الباب في رواية للترمذي : قلت يا رسول الله ! ما أخوف ما تخاف علي ؟ فأخذ بلسان نفسه .

وقد جاء في مسند الإمام أحمد عن أنس . أن النبي ﷺ قال (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) .

6- **أسباب الاستقامة :**

أولاً : دعاء الله بالثبات .

كان ﷺ يقول : (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك) .

ثانياً : قراءة القرآن وتدبره .

قال تعالى .. لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً .
7- أن من استقــام في هذه الدار على الهداية ، وفقه الله تعـالى للهدايـة يـوم القيامة .
قال ابن القيم رحمه الله :
" فمن هدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيــم ، الذي أرسل به رسـله ، وأنزل به كتبــه ، هدي هناك إلى الصراط المستقيــم ، الموصل إلى جنتــه ودار ثوابــه ، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار ، يكون ثبوت قَدَمــه علـى الصـراط المنصـوب عل ى متــن جهنــم ، وعلى قدر سيره على هذه الصراط يكون سيره على ذاك الصراط " .
8- أنه لا خوف ولا حزن على المستقيــم .
9- الحث على مجالسة ومصاحبــة أهل الاستقامــة .
10- وجوب المداومــة على العمل الصالح وأن ذلك من أسباب الاستقامــة .
وأفضل العمل ما داوم عليه صاحبه .
قال (أحب الأعمال إلى الله أدومهــا وإن قل) .
وهذا كان هدي النبي إذا عمل عملاً أثبتــه .
قالت عائشة (كان رسول الله إذا عمل عملاً أثبتــه) رواه مسلم .
قال النووي : " وإنما كان القليل الدائم خيـراً مـن الكـثير المنقطـع لأن بـدوام القليـل ت دوم الطاعــ ة والـذكر والمراقبــة والنيـة والإخلاص والإقبـال علـى الخالق سبحانه وتعالى ويثمر القليل الدائم بحيـث يزيـد علـى الكـثير المنقطـع أضعافاً كثيرة " .
وللمداومــة على العمل الصالــح آثار :
أولاً : دوام اتصال القلب بخالقــه مما يعطيه قوة وثباتاً واستقامــة .
ثانياً : تعهــد النفس عن الغفلـة وترويضـها علـى لـزوم الخيـرات حـتى تسـهل عليها .
ثالثاً : أن المداومة على العمل الصالح سبب للنجاة من الشدائد .
قال (من سره أن يستجيب الله له عند الشـدائد فليكـثر الـدعاء فـي الرخـاء) رواه الترمذي .

الحديث الثاني والعشرون

عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصـاري . (أن رجلاً سـأل رسـول اللـه فقال : أرأيـت إذا صـليت الصـلوات المكتوبـات ، وصـمت رمضـان ، وأحللـت الحلال ، وحرمت الحرام ، ولم أزد على ذلك شيئاً ، أأدخل الجنة ؟ قال : نعم) رواه مسلم .
ومعنى حرمت الحرام : اجتنبته ، ومعنى أحللت الحلال : فعلته متعمداً حله .

معاني الكلمات :
أن رجلاً : قيل هو النعمان بن قوقل الخزاعي ، وقيل غيره .
أرأيت : أخبرني .
الحرام : هو ما يثاب تاركه امتثالاً ويعاقب فاعله .

الفوائــد :
1- السؤال عن العلم سبب من أسباب تحصيله .
2- الحرص على السؤال عن كل شيء يؤدي إلى الجنــة .
3- أن الجنــة هي الهــدف لكل مسلم .

4- أن من أدى الواجبات وترك المحرمات فإن ذلك سبب لـدخول الجنـــة . وقـد جاءت أحاديث كثيرة بهـــذا المعنى

ففي الصحيحين عن طلحة بن عبيد الله (أن أعرابياً جاء إلى رسول اللـه ثـائر الرأس ، فقال : يا رسول الله ! أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصلاة ، فقـال : الصلوات الخمس إلا أن تطوع ، فقال : أخبرني بما فرض الله عليّ من الصيام ؟ فقال : شهر رمضان إلا أن تطــوع ، فقال : أخبرني بما فرض اللـه علـي مـن الزكاة ؟ فأخبره رسول الله بشرائع الإسلام ، فقال : والذي أكرمـك بـالحق لا أتطــوع شيئاً ولا أنقص مما فرض الله عليّ شيئاً ، فقال رسـول اللـه : دخ ل الجنة إن صدق) متفق عليه .

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة . (أن أعرابياً قال يـا رسـول اللـه ! دلنـي على عمل إذا عملته دخلت الجنــة ؟ قال : تعبد الله لا تشـرك بـه شـيئاً ، وتقيـم الصلاة المكتوبة ، وتـؤدي الزكـاة المفروضـة ، وتصـوم رمضـان ، قـال : والـ ذي بعثك بالحق ، لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه ، فلما ولى ، قال النــبي : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنــة فلينظر إلى هذا) .

وخرج الترمذي من حديث أبي أمامة . قال سمعت رسول الله يخطب في حجة الوداع يقول (أيها الناس ! اتقـوا اللـه ، وصـلوا خمسـكم ، وصـوموا شـهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا ذا أمركم ، تدخلوا جنة ربكم) .

لكن قد يوجد موانع من دخول الجنة :

كقوله (لا يدخل الجنــة قاطع رحم) متفق عليه .

وقوله (لا يدخل الجنــة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) رواه مسلم .

5- أن الإنسان إذا اقتصر على الأركان ولم يفعل المستحبات فلا لوم عليه .

6- عظم منزلة هذه العبادات : الصلاة ، والصيام .

وقال (قال تعالى : وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضتــه عليه) رواه البخاري

7- أن الفرائض أفضل من النوافل كما يدل عليه الحديث السابق .

8- لم يذكر النبي في هذا الحديث الزكاة ولا الحج ؟

والجواب :

لم يذكر الزكاة ، لعل النبي علم من حاله أنه فقير ولا يستطيــع عليها .

وأما الحج ، فلعله لم يفرض بعــد .

9- أن فعل الواجب وترك المحرم وقايــة من النار .

10- حكمة الله في التشريع ، حيث أن مـن الأعمـال مـا هـو واجـب ومنهـا مـا هـو مستحب .

11- وجوب امتثال أمر الله والانتهـــاء عن نهيـــه .

12- أن التحليل والتحريم حق من حقوق الله تعالى .

13- على المسلم أن يسأل أهل العلم عن أمور دينــه التي يجهلها .

الحديث الثالث والعشرون

عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسـول اللـه (الطهـور شـطر الإيمـان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد للـه تملآن _ أو تملآ _ مـا بيـن السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصـدقة برهـان ، والصـبر ضـياء ، والقـرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائــع نفسه فمعتقها أو موبقها) .

معاني الكلمات :

الطهور : بالضم الفعل وبالفتح الماء ، والمراد به الوضوء ، سمي طهـوراً لأنـه يطهر الأعضاء .

شطر : نصف .

الإيمان : قيل : المراد به الصلاة كما قال تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وقيل : المراد به الوضوء المعروف .

الحمد لله : الثناء على الله مع المحبة والتعظيم .

سبحان الله : التسبيح تنزيه الله عن النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقين .

يغدو : يذهب باكراً .

معتقها : مخلصها .

موبقها : مهلكها .

الفوائد :

1- فضل الوضوء ، وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضله :

عن عثمان . قال : قال رسول الله (من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره) رواه مسلم .

وللنسائي (من أتم الوضوء كما أمره الله ، فالصلوات كفارات لما بينهــن) .

وعن أبي هريرة . قال : قال رسول الله (إذا توضأ العبـد المسـلم أو المـؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيـه مـع المـاء أو مـع آخـر قطر الماء ، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ..) رواه مسلم .

وعن عقبة بن عامر . قال : قال رسول الله (مـا مـن مسـلم يتوضـأ فيحسـن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة) رواه مسلم .

2- فضل كلمة [الحمد لله] حيث أنها تملأ الميزان .

وقد اختلف في معنى [تملأ الميزان] :

فقيل : أنه ضرب مثل ، وأن المعنى لو كان الحمد جسماً لملأ الميزان .

وقيل : بل الله عز وجل يمثل أعمال بني آدم وأقوالهم صوراً ترى يوم القيامــة وتوزن .

3- فضل قول : سبحان الله والحمد لله حيث أنهما تملآن ما بين السماء والأرض . وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل هذه الكلمات :
قال (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله العظيم ، سبحان الله وبحمده) متفق عليه .
وقال (لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس) رواه مسلم
وقال (أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت) رواه أحمد .
وقال (لقيت إبراهيم ليلة أسري بي ، فقال يا محمد : أقرىء أمتك مني السلام ... وأنها قيعان ، وأن الجنة طيبة التربة .. وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) رواه الترمذي .
4- إثبات الميزان ، وفيه مباحث :
أولاً : تعريفه : هو ميزان حقيقي له كفتان .
ثانياً : أدلة ثبوته :
قال تعالى : ونضع الموازين القسط ليوم القيامة .
وقال تعالى : فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون .
وحديث الباب (.. تملأ الميزان ..) .
والحديث السابق (كلمتان ثقيلتان في الميزان ...) .
ثالثاً : ما الذي يوزن ؟
وردت نصوص تدل على أن الذي يوزن هو العمل :
كحديث الباب (والحمد الله تملأ الميزان) .
وحديث (كلمتان ثقيلتان في الميزان ..) .
ووردت نصوص تدل على أن الذي يوزن هو العامل .
كقوله في ابن مسعود (إن ساقيه أثقل من جبل أحد في الميزان) رواه أحمد .
وقوله (إنه ليأتي الرجل السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة) متفق عليه .
وورد أن الذي يوزن هي الصحائف :
كحديث البطاقة وفيه (.... وتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله شيء) رواه الترمذي .
والراجح أن الذي يوزن العمل ، وقد يوزن معه الصحف أو العامل .
رابعاً : هل هو ميزان واحد أم متعدد ؟
وردت نصوص تدل على أنه متعدد :
كقوله تعلى (ونضع الموازين القسط ...) وقوله تعالى (فمن ثقلت موازينه) .
ووردت نصوص بالإفراد :
كقوله (كلمتان ثقيلتان في الميزان) .
والراجح أنه ميزان واحد ، لكنه متعدد باعتبار الموزون .
خامساً : قال القرطبي : " قال العلماء : إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال ، لأن الوزن للجزاء ، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديره ليكون الجزاء بحسبها " .
5- فضل الصلاة وأنها نور .
قال تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .
فهي نور في الدنيا كما قال تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود .

وهي نور يوم القيامة ، قال (من حافظ عليها [أي الصلاة] كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف) رواه أبو داود .

6- أن الصدقة دليل وبرهان على صحة إيمان صاحبها ، والسبب في ذلك أن المال محبوب للنفوس ، فإذا أنفقت منه فهذا دليل على صحة إيمانها بالله وتصديقها بوعده ووعيده .

وللصدقة فضائل كثيرة منها :

أولاً : أنها برهان على صحة الإيمان .

كما في حديث الباب .

ثانياً : أنها تطهير للنفس .

قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم .

ثالثاً : أنها مضاعفة للحسنات .

قال تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء .

رابعاً : أنها تغفر الذنوب .

قال (والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار) رواه الترمذي .

خامساً : درجة الجنة لا تنال إلا بالإنفاق .

قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون .

سادساً : أنها أمان من الخوف يوم الفزع الأكبر .

قال تعالى الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراُ وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

سابعاً : صاحب الصدقة موعود بالأجر الكبير .

قال تعالى فالذين آمنوا وأنفقوا لهم أجر كبير .

ثامناً : أن الله يخلف الصدقة .

قال تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه .

تاسعاً : أن الصدقة تزيد المال .

قال (ما نقصت صدقة من مال) رواه مسلم .

عاشراً : أنها تظلل صاحبها يوم القيامة .

قال (العبد في ظل صدقته يوم القيامة) رواه أحمد .

7- ذم البخل .

8- فضل الصبر .

قال ابن رجب : " ولما كان الصبر شاقاً على النفوس ، يحتاج إلى مجاهدة النفس ، وحبسها وكفها عما تهواه ، كان ضياء ، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر " .

قال الغزالي : " فلنسمِ هذه الصفة التي بها فارق الإنسانَ البهائم في قمع الشهوات وقهرها [باعثاً دينياً] ولنسمِ مطالبة الشهوات بمقتضياتها [باعث الهوى] وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى ، والحرب بينهما سجال ، ومعركة هذا القتال قلب العبد ، ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، ومدد باعث الشهوات من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى ، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب

الله ، والتحق بالصابرين ، وإن تخاذل وضعف حتى غلبتـــه الشـهوة ولـم يصـبر في دفعها التحـــق بأتباع الشياطين " .
- والصبر ثلاثة أنواع :
صبر على الطاعات – وصبر عن معاصي الله – وصبر على أقدار الله المؤلمـة .
والصبر على الطاعات وعن المحرمات أفضل من الصبر على الأقدار المؤلمـة .
9- أن القرآن إما أن يكون حجة للإنسان أو حجة عليه .
يكون حجة للإنســان : إذا اتبــع أوامــره وانتهى عند نواهيــه وعمـل بـه وأقـام حدوده .
ويكون حجة على الإنسان : إذا ترك أمره ووقع في نواهيــه وأعرض عنه .
قـال تعـالى وننـزل مـن القـرآن مـا هـو شـفاء ورحمـــة للمـؤمنين ولا يزيـد الظالمين إلا خساراً .
قال ابن مسعود : " القرآن شافع ومشفع ، فمن جعله أمامه قاده إلـى الجنـة ، ومن جعله خلف ظهره قاده إلى النار " .
10- التحذير من الإعراض عن القرآن .
11- أن كل إنسان إما ساعٍ في هلاك نفسه أو فكاكها .
فمن سعى في طاعة الله فقد باع نفسه لله ، وأعتقها من عـذابه ، ومـن سـعى في معصية الله فقد باع نفسه بالهوان وأوبقها بالآثـــام الموجبـة لغضـب اللـه وعقابــه .
قال الحسن : " المؤمن في الدنيا كالأسير يسـعى فـي فكـاك رقبتـه ، لا يـأمن شيئاً حتى يلقى الله " .
وقال : " ابن آدم ! إنك تغدو وتروح في طلـب الأربـاح ، فليكـن همـك نفسـك ، فإنك لن تربح مثلها أبداً " .
وقال أبو بكر بن عياش : " قـال لـي رجـل مـرة وأنـا شـاب : خلّـص رقبتـك مـا استطعت في الدنيا من رق الآخـــــــــــرة ، فإن أسير الآخـــرة غيـر مفكـوك أبداً ، قال : فوالله ما نسيتها بعد " .
وكان بعض السلف يبكي ويقول : " ليس لي نفسان ، إنما لي نفس واحدة ، إذا ذهبت لم أجد أخرى " .
12- مجاهدة النفس على العمــل الصالح .
13- التحذير من الأعمال السيئــة .

الحديث الرابع والعشرون

عن أبي ذر الغفاري . عن النبي فيما يرويه عن ربه عز وجـل أنـه قـال (يـا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً فلا تَظالموا ، يـا عبادي كلكم ضالٌ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكـم جـائعٌ إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبـادي كلكـم عـارٍ إلا مـن كسوتــه ، فاستكسوني أكسكم ، يـا عبـادي إنكـم تخطئـون بالليـل والنهـار وأنـا أغفـر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفـر لكـم . يـا عبـادي لـو أن أولكـم وآخركـم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أتقى على قلب رجـلٍ واحدٍ منكم ما زاد في ملكي

شيئاً ، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما نقص في ملكي شيئاً ، ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم وقفوا على صعيدٍ واحد وسألني كل واحدٍ منكم مسألته ما نقص ذلك في ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في ماء البحر، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) . رواه مسلم

معاني الكلمات :

الظلم : وضع الشيء في غير موضعه .

فاستهدوني : اطلبوا مني الهداية .

صعيد واحد : أرض واحدة .

المخيط : الإبرة .

أحصيها لكم : أضبطها لكم .

الفوائد :

1- عظيم رحمة الله بعباده ورفقه بهم حيث ناداهم بهذا اللفظ [يا عبادي] المشعر بالرحمة والرفق والحث .

2- أن لفظ [يا عبادي] فيه تذكير للعباد بالحكمة التي من أجلها خلقوا وهي عبادة الله .

قال تعالى ﷻ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﷻ .

وقال تعالى ﷻ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﷻ .

وقد امتدح ربنا جل وعلا نبيه ﷺ وأثنى عليه ووصفه في أشرف مقاماته بوصف العبودية :

فقال سبحانه في الإسراء :

ﷻ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﷻ .

وفي مقام الدعوة قال سبحانه :

ﷻ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً ﷻ .

وفي مقام التحدي قال سبحانه :

ﷻ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﷻ .

3- تحريم الظلم على الله ، مع قدرته سبحانه وتعالى عليه .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " وإنما قلنا مع قدرته عليه ، لأنه لو كان ممتنعاً على الله لم يكن ذلك مدحاً ولا ثناءً إذ لا يثنى على الفاعل إلا إذا كان يمكنه أن يفعل أو لا يفعل " .

4- أن الله لا يظلم لكمال عدله ، وهكذا كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت ضده .

كقوله تعالى ﷻ ولا يظلم ربك أحداً ﷻ لكمال عدله .

وقوله ﷻ لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﷻ لكمال علمه .

لا يعزب : لا يغيب .

وقوله ﷻ لا تأخذه سنة ولا نوم ﷻ لكمال قيوميته وحياته .

5- جاءت نصوص كثيرة تبين أن الله حرم على نفسه الظلم :

قال تعالى ﷻ وما أنا بظلام للعبيد ﷻ .

وقال تعالى ﷻ وما الله يريد ظلماً للعباد ﷻ .

وقال سبحانه ﷻ وما ربك بظلام للعبيد ﷻ .

وقال سبحانه ﷻ وما الله يريد ظلماً للعالمين ﷻ .

وقال سبحانه إن الله لا يظلم الناس شيئاً .
6- يجب على المسلم أن ينــزه الله عن الظلــم .
7- تحريم الظلم بين الناس لقوله (فلا تظالمــوا) .
والظلم ينقسم إلى أقسام :
القسم الأول : ظلم أكبر وهو الشرك .
قال تعالى عن لقمان إن الشرك لظلم عظيم .
القسم الثاني : ظلم العبد نفسه بالمعاصي .
القسم الثالث : ظلم العباد بعضهم بعضاً .
وهذا القسم هو المقصود بالحديث لقوله (فلا تظالمــوا) .
وقد جاءت نصوص كثيرة تبين تحريم الظلم :
قال رسول الله : (إن الظلم ظلمات يوم القيامة) متفق عليه .
وقال (من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين) متفق عليه .
وقال (من كانت عنده مظلمــة لأخيه فليتحلل منها ، فـإنه ليـس ثـم دينـار ولا درهم من قبل أن يأخذ لأخيه من حسـناته ، فـإن لـم يكـن لـه حسـنات أخـذ مـن سيئات أخيه ، فطرحت عليه) رواه البخاري .
والظلم ينقسم إلى قسمين :
أحدهما : منع ما يجب لهم من الحقوق وهو التفريط .
الثاني : فعل ما يضر به وهو العدوان .
8- وجوب العدل في جميع الأمــور ، (وللعـدل فضـائل سـتأتي قريبـاً إن شـاء الله) .
9- أن الإنسان ضال إلا من هداه الله .
10- يجب سؤال الله الهداية ، وقد أمرنا الله أن نسأله إياها في أعظم سورة .
قال تعالى اهدنا الصراط المستقيم .
وكان رسول الله يقول : (اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنـى) رواه مسلم .
وكان يقول أيضاً (اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنـك تهـدي مـن تشـاء إلى صراط مستقيم) .
وعلم الحسن أن يقول في قنوت الوتر (اللهم اهدني فيمن هديت) .
وأمر علياً أن يسأل الله السداد والهــــدى .
قال ابن القيم : " فسؤال الهداية متضمــن لحصول كل خير والسلامة مـن كـل شر " .
11- يجب على المسلم أن يعمل بأسبــاب الهداية وأن يحرص عليها .
قال ابن القيم : " ولما كان سؤال الله الهدايــة إلـى الصـراط المسـتقيم أجـل المطـالب ، ونيلـه أشـرف المـواهب ، علّـم اللـه عبـاده سـؤاله ، وأمرهــم أن يقدمــوا بيـن يـده حمـده والثنـاء عليـه ، وتمجيـــــده ، ثـم ذكـر عبـوديتهم وتوحيدهم ، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم " .
12- الحذر من الأسباب التي تعيق الإنسان عن الهداية .
قال ابن القيم : " ولينظر إلى الشبهات والشهوات التي تعــوقــه عـن سـيره علـى هـذا الصـراط ، فإنهـا الكلاليـب الـتي بجنبـتي ذاك الصـراط ، تخطفــه وتعــوقــه عن المرور عليــه " .
13- بطلان قول من يقول : إذا كنا مهتدين ، فكيف نسأل الهداية ؟
لأن المجهــول لنا من الحق أضعاف المعلوم ، وما لا نريـد فعلـه تهاونـاً وكسـلاً مثل ما نريده أو أكثر منه أو دونه ، وما لا نقدر عليـه – ممـا نريـده – كـذلك ، ومـا نعرف جملته ولا نهتدي لتفاصيله ، أمر يفوق الحصر .

14- غنى الله سبحانه وتعالى ، وأن العباد كلهم مفتقرون إلى الله في جلب مصالحهم ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم .
قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم .
وقال تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها .
وقال تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون .
15- إثبات غنى الله سبحانه وتعالى .
16- أن ابن آدم كثير الخطأ .
كما قال تعالى وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً .
وقال (كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون) رواه الترمذي .
وفي حديث الباب (.. إنكم تخطئون بالليل والنهار ..) .
17- كرم الله وإحسانه حيث دعا عباده _ مع ظلمهم بالمعاصي والذنوب _ إلى عفوه وغفرانه .
فقال تعالى نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم .
وقال سبحانه قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً .
وقال سبحانه والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلى الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون .
18- وجوب الاستغفار من الذنوب كلها .
لقوله (فاستغفروني أغفر لكم) .
وقال تعالى واستغفر لذنبك .
وقال تعالى واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً .
وقال سبحانه فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً .
وقال (أني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) رواه مسلم .
وقال (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) رواه البخاري .

والاستغفار يكون على وجهين :
الوجه الأول : طلب المغفرة بلفظ : اللهم اغفر لي ، أو أستغفر الله .
الوجه الثاني : طلب المغفرة بالأعمال الصالحة التي تكون سبباً لذلك .
19- كمال سلطان الله وغناه عن خلقه لقوله عز وجل (إنكم لن تبلغوا ضري ... ولن تبلغوا نفعي) .
قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله " وذلك لكمال سلطانه عز وجل وكمال غناه ، فكأنه تعالى قال : إنما طلبت منكم الاستغفار من الذنوب لا لحاجتي لذلك ولا لتضرري بمعاصيكم ولكن المصلحة لكم " .
قال ابن رجب رحمه الله : " يعني أن العباد لا يقدرون أن يوصلوا إلى الله نفعاً ولا ضراً ، فإن الله تعالى في نفسه غني حميد ، لا حاجة له بطاعات العباد ، ولا يعود نفعها إليه ، وإنما هم ينتفعون بها ، ولا يتضرر بمعاصيهم وإنما هم يتضررون بها " .
قال تعالى : ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً .
وقال تعالى ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً .

وقال تعالى وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما فـي الأرض وكـان اللـه غنياً حميداً .
وقال حاكياً عن موسى ومن كفر فإن الله غني عن العالمين .
والمعنى أنه تعالى يحب من عباده أن يتقــوه ويطيعــوه كما أنه يكـره منهـم أن يعصــوه ، ولهذا يفرح بتوبــة التائبين أشد مـن فـرح مـن ضـلت راحلتـــه الـتي عليها طعـامه وشرابـــه بفلاة مـن الأرض ، وطلبهـا حـتى أعيـى وأيـس منهـا ، واستسلم للمــوت ، وأيس من الحياة ، ثم غلبتـه عينـه فنـام ، واسـتيقظ وهـي قائمة عنده ، وهذا أعلى ما يتصوره المخلوق من الفرح ، هذا كله مـع غنـاه عـن طاعات عباده وتوباتهــم إليه ، وإنه إنما يعود نفعها إليهم دونه ، ولكن هـذا مـن كمال جوده وإحسانه إلى عباده ، ومحبته لنفعهــم ودفع الضر عنهم .

20- أن ملك الله لا يزيــد بطاعة الخلق ، ولو كانوا كلهم بررة أتقياء قلوبهم علـى أتقى رجل منهم ، ولا ينقص ملكه بمعصية العاصين ، ولو كان الجـن والإنـس كلهم عصاة فجرة قلوبهم على أفجر رجل منهم .

21- كمال ملك الله وكمال قدرته ، وأن ملكـــه وخزائنـــه لا تنفـذ بالعطـاء ، ولـو أعطى الأولين والآخرين من الجن والإنس جميع ما سألـــوه في مقام واحد .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة . عن النـبي قـال (يـد اللـه ملأى لا تغيضهـــا نفقة سحاء الليل والنهــار ، أفرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لن يغيض ما في يمينه) .
وقال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق .

22- أن الله يحصي أعمال العباد ويضبطها ، فلا يظلم عنده أحد .

قال تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .
وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يــره .
وقال تعالى ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً .
وقال سبحانه يوم يبعثهم جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونســـوه .
وقال سبحانه من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها .

23- أن الله يوفي عباده يوم القيامة على حسب أعمالهم فلا يظلم عنده أحداً .

قال تعالى إنما توفون أجوركم يوم القيامــة .
وقال تعالى ومن يعمل سوءاً يجز به .

24- وجوب حمد الله على من وجد خيراً ، لأن الله يسرها عليه ، ثم أثابه عليها .
25- التحذير ممن تخلف عن العمل الصالح .
26- أن الجن مكلفـــون .
27- أهمية القلب ، لأن الأصل في التقوى والفجور القلوب .
28- طلب الرزق من الله الذي في السماء .
29- أن الاستغفار من أسباب المغفرة .
30- حفظ الله للأعمـــــــال .
31- الجزاء من جنس العمل .
32- محاسبة النفس على التفريط .

الحديث الخامس والعشرون

عن أبي ذر (أن ناساً من أصحاب رسول الله قالوا للنبي : يا رسول الله ! ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال : أوَ ليس قد جعل الله لكم ما تصَّدَّقون ؟ إن لكم بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن منكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة . قالوا : يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام ، أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) رواه مسلم .

معاني الكلمات :

الدثور : الأموال .

بفضول أموالهم : أي أموالهم الزائدة عن كفايتهم وحاجتهم .

بضع : البضع الجماع .

الفوائد :

1- رغبة الصحابة رضي الله عنهم الشديدة في الخير ، وتنافسهم بالأعمال الصالحة ، ففي هذا الحديث أن الفقراء جاءوا إلى النبي وبينوا له أن إخوانهم الأغنياء قد سبقوهم ببعض الأعمال الصالحة ، وذلك أن عندهم فضل من مال ، فيحجون ويعتمرون ويتصدقون ويجاهدون ، وهم لا يستطيعون ذلك ، فما السبيل للحاق بهم ؟

وهذا هو التنافس الشريف .

قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

وقال تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون .

قال ابن القيم : " ..... كما كان أصحاب رسول الله يتنافسون في الخير ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه ، بل يحض بعضهم بعضاً ، وهي نوع من المسابقة ، وقد قال تعالى : سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض " .

2- الحزن على ما فات من الأعمال الصالحة ، وهذا كان دأب الصحابة رضوان الله عليهم .

أمثلة تدل على ذلك :

أولاً : ما جاء في حديث الباب : حيث كان الفقراء يحزنـــون علـى مـا يتعـذر عليهم فعله من الخير مما يقدر عليه غيرهــم .
ثانياً : الحزن على التخلف عن الخروج في الجهاد لعدم القدرة على آلته .
كما قال تعالى ولا على الذين إذا مـا أتـــــوك لتحملهـــم قلـت لا أجـد مـا أحملكم عليه تولوا وأعينهــم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقــون .
ثالثاً : التأسف على فعل الطاعة .
فإن ابن عمر لما بلغـه حديث (من شــهد الجنـازة حتى تدفن فلـه قيــراط ، ومن شــهدها حتى يصلى عليهـا فلـه قيراطـان) قـال : لقـد فرطنـــا فـي قراريــط كثيرة .
3- ينبغي على المسلم المسارعة إلى الخيرات والأعمال الصالحات .
كما قال تعالى وسـارعوا إلـى مغفـرة مـن ربكـم وجنـة عرضـها السـموات والأرض .
وقال تعالى فاستبقــوا الخيرات .
وقال تعالى يسارعون في الخيرات وهم لها سابقـــون .
وقال (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسـيلة فـإن اسـتطاع أن لا يقـوم حتى يغرسها فليغرسهــا) رواه أحمد .
4- الحث على علــو الهمـــة .
قال (إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها) رواه الطبراني .
وقال (لو يعلـم النـاس مـا فـي النـداء والصـف الأول ثـم لـم يجـدوا إلا أن يستهمــوا عليه لاستهموا) متفق عليه .
وقال (إذا سأل أحدكم فليكثر ، فإنما يسأل ربــه) رواه ابن حبان .
وقال (إذا سألتم الله فاسألــوه الفردوس الأعلى) رواه البخاري .
وقال (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب اللـه ورسـوله ويحبـه اللـه ورسـوله ، يفتح الله على يديه ، قال عمر : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ) رواه البخاري .
وعن ربيعة بن كعـب قـال (كنـت أبيـت مـع رسـول اللـه فأتيتـــه بوضـوئه وحاجته ، فقال لي : سلني ، فقلت : أسـألك مرافقتـك فـي الجنـــة ، قـال : فأعني على نفسك بكثرة السجود) رواه مسلم .
5- استدل بحديث الباب من قال إن الغني الشاكر أفضـل مـن الفقيـر الصـابر ، وهذه مسألة اختلف فيها العلماء على قولين :
القول الأول : أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر .
لحديث الباب حيث قال (ذلك فضل الله يؤتيــه من يشاء) .
القول الثاني : الفقير الصابر .
لقوله (يدخل الفقراء قبل الأغنياء بخمسمائة عام) .
ولقوله (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء) رواه مسلم .
واختار شيخ الإسلام ابن تيمية أن من كان تقياً فهــو أفضل .
6- سعة فضل الله ورحمتــه حيث جعل أبواب الخير كثيرة .
7- فضل الصدقــة بالمــال .
8- أن العمل الصالح صدقة ، وقد قال (كل معروف صدقــة) .
وجـاء فـي روايـات للحـديث (تبسـمك فـي وجـه أخيـك صدقـــة ، وأمـرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل ف ي أرض الضـلال لـك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صـدقة ، وإفراغـك من دلو أخيك لك صدقــة) .
وعند ابن حبان (ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة ، في كل يوم طلعت فيه الشمس ، قيل : يا رسول الله : ومن أين لنا صدقة نتصـدق بهـا ؟ قـال :

إن أبواب الجنــة لكثيرة ، التسبيح والتحميـد والأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكر وتميط الأذى عن الطريق ، وتسـمع الأصـم ، وتهـدي الأعمـى ، وتـدل المستدل على حـاجته ، وتسـعى بشـدة سـاقيك مـع اللهفـــان المسـتغيث ، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف ، فهذا كله صدقة منك على نفسك) .
قال ابن رجب رحمه الله : " والصدقــة بغير المال نــوعان :
أحدهما : ما فيه تعدية الإحسان إلى الخلق فتكون صدقة عليهم ، وربما كــان أفضل من الصدقة بالمال .
وهذا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنه دعا إلى طاعة اللــه ، وكـف عن معاصيـــه ، وذلك خير من النفــع بالمــال ، وكذلك تعليم العلـم النـافع ، وإقراء القرآن ، وإزالة الأذى عن الطريق ، والسعي في جلب النفع للنــاس ، ودفع الأذى عنهم .
الثاني : من الصدقة التي ليست مالية ما نفعــه قاصر علـى فـاعله ، كـأنواع الذكر من التكبير والتحميد والتهليل والاستغفار " .

9- فضل ذكر الله وأنه صدقة على النفس .
10- فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وستأتي مباحثه إن شاء الله) .
11- تحريم الزنا .
12- أن إتيان الحلال استغناء عن الحرام يجعل الحلال قربة وصدقة .

قال النووي رحمـه اللـه : " وفـي هـذا دليـل علـى أن المباحـات تصـير طاعـات بالنيـات الصـادقات ، فالجمـاع يكـون عبـادة إذا نـوى بـه قضـاء حـق الزوجـــة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله به ، أو طلب ولد صالح ، أو إعفـاف نفسـه ، أو إعفاف الزوجة ومنعهما جميعاً من النظر إلى الحرام أو الفكر فيـه ، أو الهـم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة " .

13- جواز القياس .
14- الحث على السؤال عما ينتفع به المسلم ويترقى به في مراتب الكمـــال .

الحديث السادس والعشرون

عن أبي هريرة . قال : قال رســـول الله (كل سلامى من الناس عليه صـدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صـدقة ، وتعيـن الرجـل فـي دابتـه فتحمله عليها أو ترفع له متاعه صدقة ، والكلمـة الطيبـة صـدقة ، وبكـل خطـوة

تمشيهـا إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريـق صـدقة) رواه البخـاري ومسلم .

معاني الكلمات :
سلامى : السلام : عظام الكف والأصابع والأرجـل ، والمـراد فـي هـذا الحـديث جميع أعضاء جسم الإنسان ومفاصله ، وهي ثلاثمائة وستون مفصلاً ، كما قـال (خلق الإنسان على ستين وثلاثمائة مفصل) .
الناس : أي البشر ، وسموا ناساً من الإيناس أو النسيان .
صدقة : أجر .

الفوائد :
1- أن على الإنسان كل يوم تطلع فيه الشمس عن كل عضو من أعضائه صدقة . وهذا سهل ، فإنه يستطيع أن يـأتي بهـذا الـديْن بالتسـبيح والتهليـل والتكـبير ، وجاء في رواية (ويجزىء من ذلك ركعتان من الضحى) .
2- فضيلة العدل بين الناس . والعدل له فضائل :
أولاً : أن الله أمر به .
فقال تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان .... .
ثانياً : أن الله يحب أهله .
قال سبحانه وأقسطوا إن الله يحب المقسطين .
ثالثاً : على منابر من نور .
قال (إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعـدلون فـي حكمهـم وأهليهم وما ولوا) رواه مسلم .
رابعاً : في ظل الله يوم القيامة .
قال (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عـادل ...) متفـق عليه .
3- فضيلة الصلح بين الناس ، وأنه من أعظم الأعمال .
قال تعالى والصلح خير .
وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمـــــر بصـدقة أو معـروف أو إصلاح بين الناس .
وقال (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟ قالوا : بلى ؟ قال : إصلاح ذات البين) رواه أحمد .
وقال تعالى واتقوا الله وأصلحـوا ذات بينكم .
وقال تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلـوا فأصلحـوا بينهمـا .
وعن سهل بن سعد . (أن أهل قبـاء اقتتلـوا حـتى ترامـوا بالحجـارة ، فـأخبر رسول الله بذلك فقال : اذهبـوا بنا نصلح بينهـم) رواه البخاري .
من أقوال السلف :
قال أنس : " من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمـة عتق رقبـة " .
وقال أبو أمامة : " امش ميلاً وعد مريضـاً ، وامـش ميليـن وزر أخـاً فـي اللـه ، وامش ثلاثة أميال وأصلح بين اثنين " .
وقال بعض العلماء : " من أراد فضل العابدين فليصـلح بيـن النـاس ، ولا يوقـع بينهم العداوة والبغضاء " .
4- الحث على معاونـة الإنسان لأخيه المسلم ، فيعينه في دابته فيحملـه عليهـا أو يرفع له عليها متاعـه .
5- وهذا مثال ذكره النبي ، والأمثلة كثيرة جداً .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " لـو وجـدت إنسـاناً علـى الطريـق وطلـب منك أن تحمله إلى البلد وحملته ، فإنه يدخل من باب أولى " .
ولكن هل يجب عليك أن تحمله أو لا يجب ؟
الجواب : إن كان في مهلكة وأمنت منه وجب عليك أن تحمله وجوباً لإنقاذه من الهلكــة ، فإن لم تأمن من هذا الرجـل فلا يلزمـــك أن تحملـه ، مثـل تخـاف أن يغتالك .
وللتعاون فضائل :
أولاً : حث الله عليه .
قال تعالى وتعاونــوا على البر والتقوى .
ثانياً : أنه سبب للقوة .
قال تعالى ولا تنازعـــوا فتفشلوا وتذهب ريحكم .
ثالثاً : أنه سبب لمعونة الله للعبد .
قال (من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجتــه) رواه مسلم .
6- فضل الكلمة الطيبة وأنها صدقة .
كالسلام – ورد السـلام – وتشـميت العـاطس – وذكـر اللـه – والأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها .
والكلام الطيب هو الذي يقبل عنـد اللـه ، كمـا قـال تعـالى إليـه يصـعد الكلـم الطيب والعمل الصالح يرفعــه .
7- فضل المشي إلى المساجد ، ففي كل خطوة صدقة .
والمشي إلى المساجد فضله عظيم .
أولاً : أن كل خطوة إلى المسجد صدقة .
كما في حديث الباب .
ثانياً : أنه من أسباب محو الخطايا .
قال (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ، قالوا : بلى ، قال : إسباغ الوضـوء علـى المكـاره ، وكـثرة الخطـا إلـى المسـاجد ، وانتظـار الصلاة بعد الصلاة) رواه مسلم .
ثالثاً : أن كل خطوة تمحو سيئة وأخرى تكتب حسنة .
قال (من راح إلى مسـجد الجماعـة فخطـوة تمحـو سـيئة ، وخطـوة تكتـب لـه حسنة) رواه النسائي .
وفي رواية (فرجل تكتب له حسنة ، ورجل تحط عنه سيئة حتى يرجع) .
8- فضل إماطة الأذى عن الطريق ، وأنه صدقة . ولإماطــة الأذى فضائــل :
أولاً : أنه صدقة .
لحديث الباب .
ثانياً : من علامات الإيمان .
قال (الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قـول : لا إلـه إلا اللـه ، وأدناهـا إماطة الأذى عن الطريق) رواه مسلم .
ثالثاً : أنه من أسباب دخول الجنة .
عن أبي هريرة . قال : قال (لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنــة ، فـي شـجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين) رواه مسلم .
رابعاً : من أسباب المغفرة .
قال (بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق ، فأخره فشكر الله له ، فغفر له) متفق عليه .
9- فضل صلاة الجماعة .
10- كثرة طرق الخير .
11- التحذير من الكلام غير الطيب .

12- الحرص على خدمة المسلمين .

الحديث السابع والعشرون

عن النواس بن سمعان عن النبي قال (البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس) رواه مسلم

وعن وابصة بن معبد قال (أتيت رسول الله فقال : أجئت تسأل عن البر والإثم ؟ قلت : نعم ، قال : استفت قلبك ، البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك) .رواه أحمد والدارمي .

معاني الكلمات :

البر : اسم جامع للخير .

حسن الخلق : التحلي بالفضائل وترك الرذائل .

الإثم : الذنب .

ما حاك في نفسك : أي لم يسكن إليه القلب .

الفوائد :

1- الحث على حسن الخلق ، وأنه من أعظم خصال البر .

2- في الحديث بعض علامات الإثم :

أولاً : قلق القلب واضطرابه ، لقوله (والإثم ما حاك في صدرك) .

ثانياً : كراهة اطلاع الناس عليه ، لقوله (وكرهت أن يطلع عليه الناس) .

قال ابن رجب : في قوله (الإثم ما حاك في ....) :

" إشارة إلى أن الإثم ما أثر في الصدر حرجاً وضيقاً وقلقاً واضطراباً فلم ينشرح له الصدر ، ومع هذا فهو عند الناس مستنكر بحيث ينكرونه عند اطلاعهم عليه ، وهذا أعلى مراتب معرفة الإثم عند الاشتباه ، وهو ما استنكر الناس فاعله وغير فاعله " .

3- أن صاحب القلب السليم ، يضطرب قلبه ويخاف عند فعل الحرام أو الشك به .

قال ابن رجب : " فدل حديث وابصة وما في معناه على الرجـوع إلـى القلـوب عند الاشتباه مما سكن إليه القلب ، وانشـرح إليـه الصـدر ، فهـو الـبر والحلال ، وما كان خلاف ذلك فهو الإثم والحرام " .

4- أن الله فطر عباده على معرفة الحق والسكــون إليه .

5- أن ما حاك في صدر الإنسان فهو إثــم وإن أفتــاه غيره بأنه ليـس بإثــم .

قـال ابـن رجـب رحمـه اللـه : " وهـــذه مرتبـة ثانيـة ، وهـو أن يكـون الشـيء مستنكراً عند فاعله دون غيره وقد جعله أيضاً إثماً ، وهـذا إنمـا يكـون إذا كـان صاحبه ممن شرح صدره للإيمــان ، وكان المفتي يفتي له بمجـرد ظـن أو ميـل إلى هوى من غير دليل شرعي ، أمـا إذا كـان فتـوى المفـتي تسـتند إلـى دليـل شرعي فيجب على المرء أن يتقيد بها وإن لم يطمئـن قلبـه ، قـال تعـالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسـهم حرجـاً مما قضيت ويسلموا تسليماً " .

6- معجزة الرسول ، حيث أخبر وابصة بما في نفسه قبل أن يتكلم به .

7- أن الدين وازع ومراقب داخلي .

8- أن الدين يمنع من اقتراف الإثــم .

9- طمأنينة القلب السليم للخير .

10- نفور القلب السليم من الشر .

11- بلاغة النبي .

الحديث الثامن والعشرون

عن أبي نجيح العرباض بن سارية قال (وعظنا رسول الله موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله ! كأنها موعظة مودع فأوصنـــا . قال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة) رواه أبو داود والترمذي .

معاني الكلمات :

وعظنا : الموعظة التذكير المقرون بالتخويف .

وجلت : خافت .

وذرفت : سالت .

بالنواجذ : أقصى الأضراس .

الفوائد :

1- مشروعيـــة الموعظـــة . والموعظة فيها مباحث :

أولاً : مشروعيتها .

لقوله تعالى وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً .

وقوله تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظـــة الحسنـــة .

ولحديث الباب (وعظنا رسول الله) .

وعن جابر قال (شهدت مع رسول الله العيد ، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ، ثم قام متوكئاً على بلال ، فأمر بتقوى الله ، وأمر بطاعته ، ووعظ الناس وذكرهـــم) متفق عليه .

ثانياً : أن لا يديم الموعظة بل يتخولهم .

عن ابن مسعود قال (كان النبي يتخولنا بالموعظـــة في الأيام مخافة السآمة علينا) رواه البخاري .

يتخولنا : يتعاهدنا .

والمعنى : كان يراعي الأوقات في تذكيرنا ، ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نمل .

ثالثاً : أن لا يطيل في الموعظة .

قال (إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه) رواه مسلم .

وعند أبي داود (كان رسول الله لا يطيل الموعظـــة يوم الجمعة ، إنما هي كلمات يسيرات) .

مئنة : دليل وعلامة .

رابعاً : أن تكون بليغـــة .

لقوله في الحديث (وعظنا موعظة بليغـــة ..) .

قال ابن رجب : " والبلاغة هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة ، وإتصالها إلى قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها وأفصحها وأحلاها للأسماع وأوقعها في القلوب " .

2- أن من صفات المؤمنين عند سماع المواعظ ، البكاء والخوف .

قال ابن رجب رحمه الله : " هذان الوصفان بهما مدح الله المؤمنين عند سماع الذكر " .
كما قال تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهــم وإذا تليت عليهم آياتــه زادتهم إيماناً .
وقال سبحانه ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق .
وقال تعالى الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهــم وقلوبهم إلى ذكر الله .
وقال تعالى وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرســـــول ترى أعينهــم تفيض من الدمــع مما عرفـــوا من الحق .
3- فضل البكاء من خشية الله . وللبكاء من خشية الله فضائل :
أولاً : سبب للنجاة من النار .
قال (لن يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع) رواه الترمذي .
وقال (عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله) رواه الترمذي .
ثانياً : البكاء مع الذكر سبب لإظلال الله للعبد .
قال (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : .. ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) متفق عليه .
ثالثاً : أن البكاء من خشية الله سمة من سمات الصحابة .
كما في حديث الباب .
ولحديث أنس قال : قال رسول الله (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، قال : فغطى أصحاب رسول الله وجوههم ولهم خنين) متفق عليه .
أمثلة على بكاء الصحابة :
ثبت في ترجمة عمر بن الخطاب أنه كان في وجهه خطان أسودان .
وكان عثمان إذا وقف على قبر يبكي حتى تبتل لحيته من البكاء .
ثبت عن ابن عمر أنه ما قرأ قول الله ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله إلا بكى حتى يغلبـــه البكاء
فائدة .
قال أبو سليمان الداراني : " لكل شيء علم ، وعلم الخذلان ترك البكاء من خشية الله " .
4- تأثر الصحابة بالموعظة وشدة خوفهم من الله .
5- أن وصية المودع غالباً تكون أبلــغ .
قال ابن رجب رحمه الله : " فإن المودِّع يستقصي ما لم يستقص غيره في القول والفعل ، ولذلك أمر النبي أن يصلي صلاة مودع ، لأنه من استشعر أنه مودِع بصلاته أتقنها على أكمل وجوهها " .
6- أن أهم وصية يوصي بها الإنسان هي تقوى الله ، لأنه هي سبب سعادة الدنيا والآخرة .
والتقوى هي وصية الله للأولين والآخرين كما قال تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله .
وقال لمعاذ (اتق الله حيثما كنت) . [وقد سبقت فضائل التقوى في حديث : 18] .

7- وجوب السمع والطاعة لولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية ، وهذا واجب بالكتاب والسنة والإجماع .
قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم .
وقال (من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصا أميري فقد عصاني) رواه البخاري .
وعن أبي ذر قال (إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف) متفق عليه .
وفي الصحيحين قال (على المرء المسلم السمع والطاعــة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصيــة ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعــة) .
وقال (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه من فارق الجماعــة شبراً فمات ، فميتــة جاهليــة) .
قال شارح الطحاوية : " أما لزوم طاعتهم وإن جاروا ، فلأنــه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاســد أضعاف ما يحصل من جورهــم ، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ، ومضاعفة الأجور ، فإن الله تعالى ما سلطهــم علينا إلا لفساد أعمالنا ، والجزاء من جنس العمل " .
وقال ابن رجب : " وأما الســمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ، ففيها سعادة الدنيا ، وبها تنتظــم مصالح العباد في معاشهم ، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم " .
8- معجزة للنبي حيث وقع ما أخبر به من الاختلاف والفرقــة .
وهذا مصداق لقوله (ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة) رواه أبو داود .
9- العلاج عند الاختلاف ، وهو التمسك بالسنــة لقوله (فعليكم بسنتي) .
10- قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " أنه يجب على الإنسان أن يتعلــم سنة النبي ، وجه ذلك : أنه لا يمكن لزومها إلا بعد علمها وإلا فلا يمكن " .
11- أن للخلفاء الراشدين سنة متبعــة .
لقوله (وسنة الخلفاء الراشدين) .
ولقوله أيضاً (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر) رواه الترمذي .
والخلفاء الراشدون الذين أمرنا بالاقتداء بهم هم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي .
قال ابن رجب : " وإنما وصف الخلفاء بالراشدين لأنهم عرفوا الحق وقضـــوا به " .
12- التحذير من البدع . (وقد سبق ما يتعلق بالبدع في الحديث رقم : 5) .
13- أن جميع البدع ضلالة .
قال ابن رجب رحمه الله : " هذا من جوامع الكلم ، لا يخرج عنه شيء ، وهو أصل عظيم من أصول الدين ، وهو شبيه بقوله (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ، فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين برىء منه ، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات ، أو الأعمال ، أو الأقوال الظاهرة والباطنة " .

الحديث التاسع والعشرون

عن معاذ بن جبل قال (قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ، قال : لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه ، تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنــة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع .. حتى بلغ .. يعملون ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، فأخذ بلسانه وقال : كف عليك هذا ، قلت : يا نبي الله ! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناسَ في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهــم) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

معاني الكلمات :

جنة : وقاية .

جوف الليل : وسطه .

تتجافى : تبتعد .

يكب : يلقى .

الفوائد :

1- شدة اهتمام معاذ بالأعمــال الصالحــة .

2- أن الأعمــال سبب لدخول الجنة ، كما قال تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون .

لكن ما الجواب عن قوله (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله) ؟

الجواب : قيل : النجاة من النار بعفو الله ، ودخول الجنة برحمتــه ، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال .

3- حرص الصحابة على السؤال عما يفيدهم وينفعهــم . وهذا من علو همتهم ورفعتهم .

وهناك أمثلة كثيرة تدل على حرص الصحابة على السؤال الذي ينتفعون به :

فقد سأله صحابي : أي الإسلام خير ؟

وسأله آخر : أي العمل أفضل ؟

وسأله آخر : أي العمل أحب إلى الله ؟

وسأله آخر : أي الصلاة أفضل ؟

وقال له آخر : علمني دعاء أدعو به في صلاتي ؟

وكانوا يسألون ليستفيدوا ويطبقــوا ويعملوا ، بخلاف كثير من الناس في هذه الأزمان .

4- أن أعظم ما يسأل عنه هو أسباب دخول الجنة ، وأسباب الابتعاد عن النار ، لأن من دخل الجنــة ونجا من النار فقد فاز الفوز العظيم .

قال تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنــة فقد فاز .
وقد قال تعالى في صفات عباد الرحمن والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً .
وكان أكثر دعاء النبي (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) .
وكان يدعو (اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم) .
5- أن هذا السؤال يعتبر سؤال عظيم .
قال ابن رجب رحمه الله : " وذلك لأن دخول الجنــة والنجاة من النار أمر عظيم جداً ، ولأجله أنزل الله الكتب وأرسل الرسل ، وقال النبي لرجل : كيف تقول إذا صليت ؟ قال : أسأل الله الجنــة ، وأعوذ به من النار ، ولا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ، فقال النبي : حولها ندندن " .
6- أن التوفيق كله بيد الله ، فمن يسر الله عليه الهدايــة اهتدى ، ومن لم ييسر عليه لم ييسر له .
قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى .
وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى .
7- أنه ينبغي للإنسان أن يسأل الله أن ييســر له العمل الصالح .
وقد أخبر الله عن نبيه موسى أنه قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري .
وأن يجتهد في تحصيل أسباب الهداية ، ومن اجتهد فقد وعد الله له بالهداية كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهــم سبلنا .
قال ابن القيم : " علق سبحانه الهداية بالجهاد ، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً ، وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الدنيا " .
8- أن أول الواجبات وأعظمهـا هو عبادة الله تعالى .
كما قال تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم .
وقال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .
وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغــوت .
وقال (وحق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركــوا به شيئاً) .
9- أن أعظم الذنوب ، وأكبر الكبائر الشرك .
مباحث الشرك :
أولاُ : تعريفه : هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله . (وهذا هو الشرك الأكبر) .
وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ، كدعاء غير الله والتقرب بالذبائح والنذور لغير الله من القبور والجن والشياطين ، والخوف من الموتى أو الجن أو الشياطين أن يضروه أو يمرضوه .
ثانياً : هو أعظم الظلم .
قال تعالى إن الشرك لظلم عظيم .
والظلم وضع الشيء في غير موضعه ، فمن عبد غير الله فقد وضع العبادة في غير موضعها وصرفها لغير مستحقها وذلك أعظم الظلم .
ثالثاً : أنه محبط للعمل .
قال تعالى ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملـــون .
رابعاً : لا يغفر الله لصاحبه إذا مات عليه .
قال تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

خامساً : أن الجنة حرام على المشرك .
قال تعالى إنه من يشرك فقد حرم الله عليه الجنــة ومأواه النار .
10- أن القيام بأركان الدين سبب لدخــول الجنــة (وقد سبق الكلام على أركان الإسلام في حديث رقم : 3) .
11- ينبغي للمسلم أن يحرص على معرفة أبواب الخير لكي يكثر منها .
قال ابن رجب رحمه الله : " لما رتب دخول الجنة على واجبات الإسلام دله بعد ذلك على أبواب الخير من النوافــل ، فإن أفضل أولياء المقربين الذين يتقربون إليه بالنوافــل بعد أداء الفرائض" .
12- فضل الصوم وأنه سبب للنجــاة من النار . وللصوم فضائل :
أولاً : من أسباب النجاة من النار .
كما في حديث الباب .
وقال (الصيام جــنــة) متفق عليه ، وللنسائي (جنة من النار) .
وفي رواية للنسائي (الصيام جنة كجنة أحدكم من القتال) .
ولأحمد (جنة وحصن حصين من النار) . والجنة : بضم الجيم الوقاية والستر .
وقال (من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً) متفق عليه .
ثانياً : الصيام طريق إلى الجنة .
عن أبي أمامة . قال (قلت : يا رسول الله ! دلني على عمل أدخل به الجنة ؟ قال : عليك بالصوم فإنه لا مثل له) رواه النسائي .
ثالثاً : الصوم فضله عظيم اختص الله به .
عن أبي هريرة . قال : قال رسول الله (قال الله تعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجــزي به) متفق عليه .
اختلف ما المراد بقوله (إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) مع أن الأعمال كلها له وهو الذي يجزي بها ؟
فقيل : إن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره ، وقيل : وأنا أجزي به ، أي أتفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته .
رابعاً : الصوم يشفع لصاحبه .
عن عبد الله بن عمرو . قال : قال رسول الله (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب ، منعتــه الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه) رواه أحمد .
13- فضل الصدقة وأنها سبب لمحو الخطايا (وقد سبقت فضائل الصدقة في حديث رقم : 23)
14- فضل صلاة الليل وأنها تطفىء الخطيئة كالصدقة . ولقيام الليل فضائل :
أولاً : أن الله مدح أهله .
قال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً .
ثانياً : أنه أفضل الصلاة بعد الفريضة .
قال (أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل) رواه مسلم .
ثالثاً : من علامات المتقين .
قال تعالى إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلاً من الليل ما يهجعــون . وبالأسحــار هم يستغفرون .
رابعاً : من أسباب دخول الجنة .

قال (أيها الناس ! أطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنــة بســلام) رواه الترمذي .
خامساً : أنه شرف للمؤمن .
قال (جاءني جبريل ! فقال يا محمد ! اعمل ما شئت فإنك مجزي به ، ... واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس) رواه الطبراني .
سادساً : لهم غرف في الجنة .
قال (إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى بالليل والناس نيام) رواه أبو داود .
من أقوال السلف :
قال محمد بن المنكدر : " ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ، ولقاء الإخوان ، والصلاة في جماعــة " .
وقال الحسن : " ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال ، وإن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل " .
وقال الفضيل بن عياض : " إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك " .
وقال أبو سليمان الداراني : " أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهــو في لهوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا " .
15- أن رأس الأمر الإسلام ، قال ابن رجب رحمه الله :
" فأما رأس الأمر ، فيعني بـ[الأمر] الدين الذي بعث به ، وهو الإسلام ، وقد جاء تفسيره في رواية أخرى بالشهادتين ، فمن لم يُقِرُّ بهمــا باطناً وظاهراً فليس من الإسلام في شيء " .
16- أهمية الصلاة في الإسلام وأنها عموده . كما يقوم الفسطاط على عموده .
17- أهمية الجهاد في سبيل الله ، فهو ذروة سنام الإسلام ، وهو أعلى ما فيه وأرفعــه ، لأن فيه إعلاء لكلمــة الله .
وللجهاد في سبيل الله فضائل :
أولاً : أنه ذروة سنام الإسلام .
لحديث الباب .
ثانياً : أن الروحة أو الغدوة في سبيل الله خير من الدنيا .
قال (لغدوة في سبيل الله أو روحــة خير من الدنيا وما فيها) متفق عليه .
ومعنى الحديث : أن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها لأنفقها في طاعة الله .
ثالثاً : أنه من أفضل الأعمال .
عن أبي ذر . قال (قلت يا رسول الله ! أي العمل أفضل ؟ قال : الإيمان بالله ، والجهاد في سبيل الله) متفق عليه .
رابعاً : أن المجاهد أفضل الناس .
عن أبي سعيد قال (أتى رجل رسول الله فقال : أي الناس أفضل ؟ قال : مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله) متفق عليه .
خامساً : الجهاد لا يعدله شيء .
عن أبي هريرة . قال (قيل يا رسول الله ، ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟ قال : لا تستطيعونه ، فأعادوا مرتين أو ثلاثاً ، كل ذلك يقول : لا تستطيعونه ، ثم قال : مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم ، القانت بآيات

الله ، لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله) متفق عليه .
سادساً : للمجاهدين مائة درجة في الجنة .
قال (إن في الجنة مائة درجــة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) رواه البخاري .
سابعاً : الجهاد سبب للنجاة من النار .
قال (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار) رواه البخاري .
قال الحافظ ابن حجر : " وفي ذلك إشارة إلى عظم قدر التصرف في سبيل الله ، فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفذ وسعه ؟ " .
ثامناً : من أسباب دخول الجنة .
قال تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن .
تاسعاً : المجاهد يكون الله في عونه .
قال (ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في ســبيل الله ، والمكاتب الذي يـريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف) رواه أحمد .
عاشراً : الجهاد سبب لمغفرة الذنوب .
قال تعالى يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن .
18- أن حفظ اللسان وضبطــه أصل لكل خير ، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره وأحكمه وأضبطــه .
قال ابن رجب رحمه الله : " والمراد بحصائد الألسنــة جزاء الكلام المحرم وعقوباتــه ، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات ، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع ، فمن زرع خيراً من قول أو عمل حصد الكرامــة ، ومن زرع شراً من قول أو عمل حصد غداً الندامة " .
فاللسان إن تكلم به الكلام المحرم من الغيبة أو النميمة أو السب أو الشتم فإن ذلك من أسباب دخول النار ، ويدل لذلك :
حديث الباب (وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم) .
وقوله (من وقاه الله شر ما بين لحييه ، وشر ما بين رجليه دخل الجنة) رواه الترمذي .
وقوله (إن العبد ليتكلم بالكلمــة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في نار جهنــم) رواه البخار ي .
وفي رواية (إن العبد ليتكلم بالكلمــة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب) متفق عليه .
من أقوال السلف في حفظ اللسان :
قال يونس بن عبيد : " خصلتان إذا صلحتا من العبد صلح ما سواهما : صلاته ولسانه " .
وقال الحسن بن صالح : " فتشت الورع ، فلم أجده في شيء أقل من اللســان " .
وقال الحسن : " اللسان أمير البدن ، فإذا جنى على الأعضاء شيئاً جنت ، وإذا عفا عفت " .

وقال عمرو بن العاص : " الكلام كالدواء ، إن أقللت منه نفع ، وإن أكثرت منه قتل " .
وقيل : الكلمة أسيرة في وثاق الرجل ، فإذا تكلم بها صار في وثاقها .
قال الشاعر :
احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنــه ثعبـــان .
كم في المقابر من قتيلِ لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعــان .

الحديث الثلاثـــون

عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر . عن رسول الله قال (إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهــكوهــا ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثـــوا عنها) حديث حسن رواه الدارقطني وغيره .

معاني الكلمات :
فرض فرائض : أي أوجبها على عباده .
فلا تضيعوها : أي فلا تتركوها أو تتهاونوا بها .
وحد حدوداً : الحد لغة المنع ، واصطلاحاً : عقوبة مقدرة شرعاً تزجر وتمنع من المعصية .
فلا تنتهكوها : فلا تفعلوهــا .

الفوائد :
1- الحديث قسم الأحكام إلى أربعــة أقسام :
القسم الأول : الفرائض .
(كالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، وجميع الواجبات التي أمر الله بها) .
- وهذه يجب المحافظة عليها .
- والفرض تعريفه : ما ذم تاركــه شرعاً .
- وحكمه : يثاب فاعله امتثالاً ويعاقب تاركـــه .
- والفرض والواجب بمعنى واحد عند كثير من العلماء .
- وله صيغ :
منها : فعل الأمر ، كقوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتــوا الزكاة .
ومنها : الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر ، كقوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق .
ومنها : التصريح من الشارع بلفظ الأمر ، كقوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها .
ومنها : التصريح بلفظ الإيجاب أو الفرض أو الكتب ، كقوله تعالى فريضة من الله وقوله كتب عليكم الصيام .
- والفرض ينقسم إلى قسمين : فرض عين – وفرض كفاية .
الفرض العيني : وهو ما يتحتــم أداؤه على كل مكلف بعينـــه .
والفرض الكفائي : وهو ما يتحتم أداؤه على جماعة من المكلفين ، لا من كل فرد منهم ، بحيث إذا قام به بعض المكلفين فقد أدِيَ الواجب ، وسقط الإثم والحرج عن الباقين .
- فرض العين أفضل من فرض الكفايــة .

لأن فرض العين مفروض حقاً للنفس ، فهو أهم عندها من فرض الكفاية وأكثر مشقة ، بخلاف فرض الكفاية فإنه مفروض حقاً للكفاية ، والأمر إذا عمّ خف ، وإذا خص ثقل .

- الفرض أفضل من النفل .

لقوله (قال تعالى : وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضتــه عليه) رواه البخاري

القسم الثاني : الحدود التي حَدَّها الشرع .

- كحد الزنا وحد السرقــة وحد شرب الخمر ، فهذه يجب الوقوف عندها بلا زيادة ولا نقصان .
- الحكمة من هذه الحدود : المنع والزجـــر عن الوقوع في المعاصي ، وتمنع المعاودة في مثل ذلك الذنب وتمنع غيره أن يسلك مسلكــه .
- وإقامة حدود الله في الأرض فيه خير عظيم .

قال (حد يقام في أرض الله خير من أن تمطروا أربعين عاماً) رواه ابن ماجه .

- يحرم الشفاعة لإسقاطها .

قال لأسامة بن زيد حين كلمه في المرأة المخزوميـة التي سرقت (أتشفع في حد من حدود الله ، وأيم الله ! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) متفق عليه .

القسم الثالث : المحرمات التي حرمها الشارع .

- فهذه يحرم فعلها .

(كالشرك ، والقتل بغير الحق ، وشرب الخمر ، والزنا ، وغيرها مما حرمها الشرع) .

- تعريف المحرم : لغة : الممنوع ، واصطلاحاً : ما ذم فاعله شرعاً .
- وحكمه : يثاب تاركه امتثالاً ، ويعاقب فاعله .
- وله صيغ يأتي بهــا :

منها : لفظ التحريم ومشتقاتها ، كقوله تعالى حرمت عليكم الميتـة .

ومنها : صيغ النهي المطلق ، كقوله تعالى ولا تقربـــوا الزنى .

ومنها : التصريح بعدم الحل ، كقوله (لا يحل دم امرىء ...) .

ومنها : أن يرتب الشارع على فعل شيء عقوبة ، كقوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعــوا أيديهمـا ... .

- يجب ترك المحرمات والمنهيات كلها .

قال (ما نهيتكــم عنه فانتهــوا) متفق عليه .

القسم الرابع : المسكــوت عنه .

وهذا حكمه : حلال .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " لكن هذا في غير العبادات ، أما في العبادات فقد حرم الله أن يشرع أحد من الناس عبادة لم يأذن بها الله " .

وجه الدلالة من الحديث على أن ما سكت عنه فهو عفو :

أنه بين أن ما سكت الله عنه بعد الشرع إنما هو مباح رحمة بنا وتخفيفاً عنا ، فلا نبحث عن السؤال عنه ، وهذا دليل على إباحته .

ومعنى كون السكوت رحمة ، لأنها لم تحرم فيعاقب على فعلها ، ولم تجب فيعاقب على تركها ، بل هي عفو لا حرج في فعلها ولا في تركها .

- لا ينبغي البحث والسؤال عما سكت عنه .

لأنه على الأصل ، ولذلك كان النبي يكره السؤال وينهى عنه خوفاً أن يفرض على الأمة ، وإنما نهى عن كثرة السؤال خشية أن يرد تكاليف بسبب السؤال قد يشق على بعض الناس امتثالها والإتيان بها .

2- انتفاء النسيان عن الله تعالى .

قال تعالى لا يضل ربي ولا ينسى .

وقال تعالى وما كان ربك نسياً .

وأما قوله تعالى نسوا الله فنسيهــم فالمراد : هنا الترك ، أي تركوا الله فتركهــم .

الحديث الحادي والثلاثون .

عن أبي العباس – سهل بن سعد الساعدي – قال (جاء رجل إلى النبي فقال : يا رسول الله ، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس ، فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) رواه ابن ماجه .

معاني الكلمات :

دلني : أرشدني

ازهد : الزهد ترك ما لا ينفـــع في الآخـــرة .

الدنيا : سميت بذلك لدناءتها ، أو لدنوها قبل الآخرة .

الفوائد :

1- علو همة الصحابة ، حيث كانوا يسألون عن الأمور العظيمـة التي تقربهم إلى الله .

2- فضل الزهد في الدنيا ، وقد كثر في القرآن مدح الزهد في الدنيا وذم الرغبة فيها .

- فأخبر سبحانه أنها متاع قليل .

فقال تعالى وما الحياة الدنيا إلا متاع .

وقال سبحانه قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً .

قال القرطبي : " متاع الدنيا منفعتها والاستمتاع بلذاتها ، وسماه قليلاً لأنه لا بقاء له " .

- وتوعد سبحانه لمن رضي بالدنيا واطمأن بها وغفل عن آياته .

فقال تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضـوا بالحياة الدنيا واطمأنـوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون . أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون .

- وعير سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين .

فقال سبحانه يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخـرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل .

- وأخبر سبحانه عن خسة الدنيا وزهد فيها ودعا إلى دار السلام .

فقال تعالى إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون . والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

وأخبر سبحانه أن الدنيا زائلة والآخرة خير وأبقى .

فقال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى .

قال ابن كثير : " أي تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادكم " .

وقال (إن الدنيا حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا) رواه مسلم .

وقال (ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) رواه الترمذي .

وقال (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء) رواه الترمذي .

من أقوال السلف :

قال علي : " من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات " .

وقال الحسن : " الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن " .

وقال جندب بن عبد الله : " حب الدنيا رأس كل خطيئة " .

وقال الحسن : " من أحب الدنيا وسرته ، خرج حب الآخرة من قلبه " .
وقال عمرو بن العاص : " ما أبعد هديكم من هـدي نبيكم ، إنه كان أزهـد الناس في الدنيا ، وأنتم أرغب الناس فيها " .
وقال ابن مسعود : " من أراد الآخرة أضر بالدنيا ، ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة ، يا قوم فأضروا بالفاني للباقي " .
وعنه قال : " أنتم أطـول صـلاة وأكثر اجتهاداً من أصحاب رسول الله وهم كانوا أفضل منكم ؟ قيل له : بأي شيء ؟ قال : إنهم كانوا أزهـــد في الدنيا وأرغب في الآخرة منكم " .
قال ابن رجب رحمه الله : " وليس الذم راجعاً إلى مكان الدنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبني آدم مهاداً وسكناً ، ولا إلى ما أودعــه الله فيها من الجبال والبحار والأنهار والمعادن ، ولا إلى ما أنبتـــه فيها من الشجر والزرع ، فإن ذلك كله من نعمــة الله على عباده بما لهم فيه من المنافع ، ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته ، وإنما الذم راجع إلى أفعال بني آدم الواقعــة في الدنيا ، لأن غالبها واقع على غير الوجه الذي تُحمد عاقبتـــه ، بل يقع على ما تضر عاقبته ، أو لا تنفـــع " .
3- أن من أسباب محبة الله الزهــد في الدنيا ، لأن الإنسان لا يزهد في الدنيا حقيقة إلا من أيقـــن بالجنــة .
وقد ذكر العلماء أموراً تعين على الزهد في الدنيا :
أولاً : النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخستها .
ثانياً : النظر في الآخرة ، وإقبالها ومجيئها ولا بد ، ودوامها وبقائها ، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات .
ثالثاً : أن ذلك سبب لراحة البدن والقلب .
كما قال الحسن : " الزهد في الدنيا يريح البدن والقلب " .
4- فضل الاستغناء عما في أيدي الناس ، لأن النبي جعله سبباً لمحبة الناس لك .
لأنهم منهمكون على محبتها بالطبع ، فمن زاحمهم عليها أبغضوه ، ومن زهد فيها وتركها لهم أحبوه .
وقد جاء في حديث سهل بن سعد مرفوعاً (شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس) رواه الطبراني وحسنه الألباني .
وقال الحسن : " لا تزال كريماً على الناس ، أو لا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط ما في أيديهــم ، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك ، وكرهوا حديثك وأبغضوك " .
وقال أيوب السختياني : " لا ينبــل الرجل حتى يكون فيه خصلتان : العفة عما في أيدي الناس ، والتجاوز عما يكون منهــم " .
وكان عمر يقول في خطبته : " إن الطمع فقر ، وإن اليأس غنى ، وإن الإنسان إذا أيس من الشيء استغنى عنه " .
وقال أعرابي لأهل البصرة ، " من سيد أهل هذه القريــة ؟ قالوا : الحسن ، قال : بما سادهم ؟ قالوا : احتاج الناس إلى علمـــه ، واستغنى هو عن دنياهــم " .
قال ابن رجب رحمه الله : " وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي بالأمر بالاستعفاف عن مسألة الناس والاستغناء عنهم ، فمن سأل الناس ما بأيديهــم ، كرهوه وأبغضــوه ، لأن المال محبوب لنفوس بني آدم ، فمن طلب منهم ما يحبونـــه ، كرهوه لذلك " .

الحديث الثاني والثلاثون

عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري . أن رسول الله قال (لا ضرر ولا ضرار) حديث حسن رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسنداً ، ورواه مالك في الموطأ عن عمرو بن يحيي عن أبيه ، عن النبي مرسلاً ، فأسقط أبا سعيد ، وله طرق يقوي بعضها بعضاً .

معاني الكلمات :

لا ضرر : الضرر ضد النفع ، أي لا يضر الرجل أخاه ابتداء .

ولا ضرار : الضرار هو أن يضر بالغير .

الفوائد :

1- تحريم إلحاق الضرر بالغير ، وهو ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : أن يكون الغرض من ذلك الضرر .

فهذا لا ريب في قبحـــه وتحريمـــه ، وقد ورد في القرآن النهي عن المضارة في مواضـــع :

منها : في الوصية .

قال تعالى من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار .

والإضرار في الوصية تارة يكون بأن يخص بعض الورثــة بزيادة على فرضه الذي فرضه الله ، فيتضرر بقية الورثــة بتخصيصه .

وتارة بأن يوصي لأجنبي بزيادة على الثلث فينقص حقوق الورثـــة .

ومتى وصى لوارث أو لأجنبي بزيادة على الثلث لم ينفذ ما وصى به إلا بإجازة الورثــة .

ومنها : الرجعة في النكاح .

قال تعالى فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهــن بمعروف . ولا تمسكوهــن ضراراً لتعتدوا . ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه . وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً .

فدل ذلك على أن من كان قصده بالرجعــة المضارة فإنه آثم بذلك ، وهذا كما كانوا في أول الإسلام قبل حصر الطلاق في ثلاث : يطلق الرجل امرأتـــه ثم يتركها حتى يقارب انقضاء عدتها ثم يراجعها ثم يطلقها ، ويفعل ذلك أبداً بغير نهايـــة ، فيدع امرأته لا مطلقــة ولا ممسكـــة ، فأبطل الله ذلك وحصر الطلاق في ثلاث مرات .

القسم الثاني : أن يكون الضرر من غير قصد . كأن يتصرف في ملكـه بما يتعدى ضرره إلى غيره ، وهذا على نوعين :

النوع الأول : أن يتصرف على وجه غير معتاد ولا مألـــــوف ، فلا يسمح له به .

كأن يؤجج ناراً في أرضه في يوم عاصف ، فيحترق ما يليه .

النوع الثاني : أن يتصرف على الوجه المعتاد ، وهذه تختلف وجهات نظر العلماء .

2- يدخل في عموم قوله (لا ضرر) أن الله لم يكلف عباده فعل ما يضرهــم البتة ، فإن ما يأمرهــم به هو عين صلاح دينهم ودنياهم ، وما نهاهم عنه هو عين فساد دينهم ودنياهم ، لكنه لم يأمر عباده بشيء هو ضار لهم في أبدانهم أيضاً .

ولهذا أسقط الطهارة بالماء عن المريض ، وقال ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج .

وأسقط الصيام عن المريض والمسافر ، وقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر .
وأسقط اجتناب محظورات الإحرام كالحلق ونحوه عمن كان مريضاً أو به أذى من رأسه وأمر بالفديــة .
3- الحذر من ظلم الغير .
4- الدين حمايــة للنفس والمال .

الحديث الثالث والثلاثــون

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله قال (لو يعطى الناس بدعواهــم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم ، لكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر) حديث حسن ، رواه البيهقي وغيره وبعضه في الصحيحين .

معاني الكلمات :
لو يعطى الناس : ما ادعوا أنه حقهم وطالبوا به .
بدعواهم : أي بمجرد قولهم وطلبهــم دون ما يثبت ذلك .
لادعى رجال : أي لاستباح وتجرأ بعض الناس دماء غيرهم وأموالهم .
البينة : كل ما يبين الحق من الشهود وغيرهم .

الفوائد :
1- حرص الإسلام على حفظ الحقوق .
2- قال الشيخ السعدي رحمه الله : " هذا الحديث عظيم القدر ، وهو أصل من أصول القضايا والأحكام ، فإن القضاء بين الناس إنما يكون عند التنازع ، هذا يدعي على هذا حقاً من الحقوق ، فينكره ، وهذا يدعي براءته من الحق الذي كان ثابتاً عليه ، فبين أصلاً بفض نزاعهم ، ويتضح به المحق من المبطل ، فمن ادعى عيناً من الأعيان ، أو ديناً ، أو حقاً من الحقوق وتوابعها على غيره ، وأنكره ذلك الغير ، فالأصل مع المنكر .
فهــذا المدعي إن أتى ببينــة تثبت ذلك الحق ، ثبت له ، وحُكمَ له به ، وإن لم يأت ببينـــة ، فليس له على الآخــر إلا اليمين " .
3- أن البينــة على المدعي ، أي يقيم المطالب الدليل على صدقه ويُظهر الحجة ، ومن البينة الشهود ، الذين يشهدون على صدقه .
ويشترط في الشهود :
البلوغ – والعقل – والكلام – والإسلام – والعدالة .
ويكون في الزنا : أربعــة رجال ولا يقبل فيها النساء .
وفي النكاح والطلاق والرجعــة وبقية الحدود : اثنان .
وفي الأموال وما يقصد به المال كالبيع والأجل : رجلان أو رجل وامرأتان .
الرضاع والولادة والبكارة ، ومثل هذه الأمور التي لا يطلع عليها الرجال ، تقبل شهادة امرأة واحــدة .
والحكمة في كون البينــة على المدعي :
لأنه يدعي أمراً خفياً بحاجــة إلى إظهــار ، والبينــة دليل قوي لإظهــار ذلك .
4- أنه إذا لم يجد المدعي بينــة ولا شهوداً ، فإن القاضي يطلب من المدعَى عليه أن يحلف أن ما ادعاه عليه المدعي غير صحيح ويكون الحكم له بيمينه .
ويجب الحذر من الأيمان الكاذبة ، فقد جاء الوعيد في ذلك :
قال (من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة ، قيل : يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً ، قال : وإن كان قضيباً من أراك) متفق عليه .
5- بين في هذا الحديث الحكم ، وبين الحكمــة في هذه الشريعــة الكلية ، وأنها عين صلاح العباد في دينهم ودنياهم ، وأنه لو يعطى الناس بدعواهــم لكثر الشر والفساد ، ولادعى رجال دماء قوم وأموالهــم .
6- البدء بالمدعي في الحكم .
7- أن الشريعــة جاءت لحماية أموال الناس ودماءهم .
8- حب النفوس للمال .
9- يجب على القاضي أن يحكم بالعدل .

الحديث الرابع والثلاثون

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . قال : سمعت رسول الله يقول (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان) رواه مسلم .

معاني الكلمات :

منكراً : كل ما نهى عنه الله ورسوله .

فليغيره : فليزله .

الفوائد :

1- الأمر بتغيير المنكــر .

وقد اختلف العلماء في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قولين :

القول الأول : أنه واجب .

لحديث الباب (فليغيره ..) وهذا أمر ، والأمر يدل على الوجوب .

القول الثاني : أنه فرض كفاية .

وهذا مذهب أكثر العلماء .

لقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحــون .
قالوا : إن [من] في قوله (منكم) للتبعيض .
قال ابن قدامة : " في هذه الآية بيان أنه فرض على الكفاية لا فرض عين ، لأنه قال [ولتكن منكم] ولم يقل كونـــــوا كلكم آمرين بالمعروف " .
وهذا القول هو الصحيح .
لكن هناك أحوال يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين :
أولاً : التعيين من قبل السلطان .
ثانياً : التفرد بالعلم بأن معروفاً قد ترك ، أو منكراً قد ارتكب .
قال النووي : " إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ، ثم إنه قد يتعين إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هــو " .
ثالثاً : انحصار القدرة في أشخاص محددين .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره " .
2- وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضائل وثمرات كثيرة ، منها :
أولاً : مهمة الرسل .
قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت .
ثانياً : من صفات المؤمنين .
قال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله .. .
ثالثاً : أن خيرية الأمة مناطة بهذه الشعيرة .
قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .
رابعاً : من أوصاف سيد المرسلين .
قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .
خامساً : من خصال الصالحين .
قال تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين .
سادساً : من أسباب النصر .
قال تعالى ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور .
سابعاً : من أسباب النجاة .
قال تعالى أنجينا الذين ينهـــون عن السوء .
3- خطر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
أولاً : أن ذلك من صفات المنافقين .
قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهــم .
ثانياً : نزول البلاء والعذاب .

قال (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) رواه أبو داود .
ثالثاً : عدم استجابة الدعاء .
قال (لتأمرن بالمعروف ولتنهـون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم عقاباً منه فتدعونه فلا يستجيب لكم) رواه الترمذي .
رابعاً : اللعن والإبعاد من رحمة الله .
قال تعالى لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهــون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون .
من أقـــــوال السلف :
قال الثوري : " إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن ، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافقين " .
وقال علي : " أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ، ثم الجهاد بألسنتكم ، ثم الجهاد بقلوبكم ، فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس ، فجعل أعلاه أسفله " .
وقال أبو الدرداء : " لتأمرن بالمعروف ولتنهـن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجل كبيركم ، ولا يرحم صغيركم " .
وقال حذيفة عندما سئل عن ميت الأحياء : " الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبـــه " .
وقال سفيان : " إني لأرى المنكر فلا أتكلم فأبول دماً " .
وقال إسماعيل بن عمر : " من ترك الأمر بالمعروف خوف المخلوقين ، نزعت منه الهيبــة ، فلو أمر ولده لا ستخــف به " .
4- في هذا الحديث بيان كيفية تغيير المنكــر ودرجاته :
أولاً : التغيير باليد .
- ويشترط للتغيير باليد أن يكون مستطيعاً ، فإن لم يستطع كأن يخاف أن يترتب على ذلك منكراً أعظم أو مفسدة كبرى ، فإنه لا يغير بيده .
- بدأ بتغيير المنكر باليد ، لأنه أقوى درجات الإنكار ، لأنه إزالة للمنكر بالكلية وزجر عنه .
ثانياً : التغيير باللسان .
- كالتذكير والترغيب والترهيب والوعظ .
- إذا لم يستطع التغيير باللسان لوجود مانع ، فإنه لا يغير بلسانه .
ثالثاً : التغيير بالقلب .
- وهذه واجبة على الجميع .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فأما القلب فيجب بكل حال ، إذ لا ضرر في فعله ، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن ، كما قال النبي (وذلك أدنى أو أضعف الإيمان) ، وقال (ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) " .
وقيل لا بن مسعود : " من ميت الأحياء ؟ فقال : الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً " .
5- أن من شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الاستطاعة .
وهذا الشرط مأخوذ من قواعد الشريعــة العامة ، من عدم تكليف المسلم ما لا يطيق .
قال تعالى لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .
قال ابن كثير : " أي لا يكلف أحداً فوق طاقته وهذا من لطفه بخلقه ورأفتــه بهم وإحسانه إليهـــم " .
وقال تعالى فاتقـــوا الله ما استطعتــم .

وفي حديث الباب (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع ...) .
6- من شروط الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر :
أولاً : أن يكون بعلم .
فلا بد من العلم بالمنكر والمعروف ، ولا بد من العلم بحال المأمور وحال المنهي .
قال عمر بن عبد العزيز : " من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح " .
ثانياً : أن يكون رفيقاً .
كما قال (ما كان الرفق في شيء إلا زانــه) رواه مسلم .
ثالثاً : أن يكون حليماً صبوراً على الأذى ، فإنه لا بد أن يحصل له أذى .
كما قال لقمان لابنه وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمـــــــــــور .
وقال تعالى واصبر على ما يقولون .
وقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرســل .
وهل يشترط أن يكون عدلاً ؟ اختلف العلماء في ذلك على قولين :
القول الأول : يشترط ذلك .واستدلوا :
بقوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب .
وهذه الآية ذم لهم .
وبقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلــون .
وبحديث أنس . قال : قال (رأيت ليلة أســري بي رجالاً تقرض شــفاههم بمقاريض من نار ، قال : فقلت من هؤلاء : قال : هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم) رواه أحمد .
القول الثاني : لا يشترط ذلك . واستدلوا :
بقوله (إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) متفق عليه .
وبعموم الآيات والأحاديث الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
ولأن اشتراط العدالة سد لباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
قال سعيد بن جبير : " إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء " .
وهذا القول هو الصحيح .
فائدة :
قال ابن القيم رحمه الله :
" إنكار المنكر له أربــع درجــات :
الأولى : أن يزول ويخلفــه ضده .
الثانية : أن يقل وإن لم يزل من جملته .
الثالثة : أن يخلفه ما هو مثله .
الرابعة : أن يخلفه ما هو شر منه .
فالدرجتان الأوليان مشروعتان ، والثالثــة موضع اجتهاد ، والرابعــة محرمــة " .

الحديث الخامس والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله (لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمــه ، ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره ، التقوى ها هنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسْب امرىءٍ من الشــر أن يحقر أخاه المسـلم ، كل المسـلم على المسـلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه) رواه مسلم .

معاني الكلمات :

لا تحاسدوا : الحسد تمني زوال النعمة عن الغير .

ولا تناجشوا : النجش هو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها .

ولا تدابروا : التدابر هو التهاجر والتقاطع .

ولا يخذله : أي لا يترك نصره .

لا يكذبه : لا يخبره بالكذب .

ولا يحقره : أي لا يستصغره .

بحسب امرىء من الشر : يكفيه من الشر أن يحقر أخاه ، يعني يكفي فاعله عقوبة هذا الذنب .

الفوائد :

1- تحريم الحســد . والحسد فيه مباحث :

المبحث ألأول : هو حرام بالكتاب والسنة والإجماع .

قال تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .

ومن السنة حديث الباب (لا تحاسدوا) .

وأجمع العلماء على تحريمه .

المبحث الثاني : تعريفه : هو تمني زوال النعمــة عن الغير .

المبحث الثالث : خطورة الحسد :

أولاً : من صفات اليهود .

قال تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهـــم .

ثانياً : فيه أذى للمسلمين .

قال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً .
ثالثاً : أمر الله بالاستعاذة منه .
قال تعالى من شر حاسد إذا حسد .
رابعاً : أن فيه اعتراض على قدر الله وهذا سوء أدب .
قال الشاعر :
ألا قل لمن كان حاســداً أتدري على من أسأت الأدبْ
أسأت على الله في فعله لأنك لم ترضَ لي ما وهبْ
المبحث الرابع : الحسد أضر شيء على الحاسد ، لأنه يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود مكروه :
أولاً : غم لا ينقطعــه . ثانياً : مصيبة لا يؤجر عليها . ثالثاً : مذمة لا يحمد بها . رابعاً : يسخط عليه الرب . خامساً : تغلق عليه أبواب التوفيق .
المبحث الخامس : من أقوال السلف .
روي عن معاوية أنه قال لابنه : " يا بني إياك والحسد ، فإنه يتبين فيك قبل أن يتبين في عدوك " .
وعن سفيان بن دينار قال : " قلت لأبي بشر : أخبرني عن أعمال من كان قبلنا ؟ قال : كانوا يعملون يسيراً ويؤجرون كثيراً ، قلت : ولم ذاك ؟ قال : لسلامة صدورهم " .
وشتم رجل ابن عباس ، فقال له : " إنك لتشتمني وفيّ ثلاث خصال : إني لآتي على الآية في كتاب الله فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم ، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ، ولعلي لا أقاضي إليه أبداً ، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلداً من بلدان المسلمين فأفرح به ، وما لي به من سائمة " .
وقال علي : " لا راحة لحسود ، ولا إخاء لملول ، ولا محبَّ لسيء الخلق " .
وقال معاوية : " كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة ، فإنه لا يرضيه إلا زوالها " .
وقال بعض الحكماء : " ما رأيت ظالماً أشبه بالمظلوم من الحاسد " .
وقال بعضهم : " إن المؤمن يغبط ولا يحسد ، والمنافق يحسد ولا يغبط " .
المبحث السادس : الحسد سبب لكثير من البلايا .
- فهو سبب امتناع إبليس من السجود لآدم .
- وهو من أسباب امتناع القرشيين من الإيمان بالرسول .
- وسبب لامتناع اليهود من الإيمان بمحمد .
- وإخوة يوسف لما حسدوه باعــوه .
2- تحريم النجش ، وهو أن يزيد في السلعــة وهو لا يريد شراءها .
وغالباً من يفعل ذلك :
إما للإضرار بالمشتري ، أو لنفع البائع ، أو للأمرين .
والناجش آثم ، وإذا وقع البيع فهو صحيح عند الجمهــور .
3- تحريم التباغض بين المسلمين ، لقوله (ولا تباغـضوا) .
ويمكن أن يجتنب التباغض بين المسلمين بأمرين :
الأمر الأول : التباعد عن كل أمر يؤدي إلى التباغض .
- فقد حرم الله الخمر لأنه يوقع بين المسلمين العداوة والبغضاء ، قال تعالى إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهــون .
- وحرم المشي بالنميمة لما فيها من إيقاع العداوة والبغضاء .
- وحرم بيع المسلم على بيع أخيه لنفس العلة .

الأمر الثاني : القيام بالأسباب التي تؤدي إلى التحاب بين المسلمين .
ومنها : معرفة أن التحاب من علامة الإيمان .
قال (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ..) رواه مسلم .
ومنها : الهدية .
قال (تهــادوا تحــابـــوا) رواه الحاكم .
ومنها : إفشاء السلام .
كما في الحديث السابق (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، .....أفشوا السلام بينكم) .
ومنها : أن الله امتن على عباده بالتأليف بين قلوبهم .
كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتـــم بنعمتـــــه إخـــواناً .
4- أن البغض في الله من أوثق عرى الإيمان .
5- تحريم التدابــر ، وهو الهجران والتقاطع .
ويمكن للمسلم أن يتجنب الهجران بمعرفة خطورتــه :
أولاً : أنه حرام .
لحديث الباب (ولا تدابروا) .
وللحديث السابق (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) .
ثانياً : خطر من هجر أخاه سنة .
قال (من هجر أخاه سنــة فهو كسفك دمه) رواه أبو داود .
ثالثاً : أن التهاجر والتقاطع يفرح الشيطان .
قال (إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئاً ، ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، قال : فيدنيه منه ويقول : نعم أنت) .
وقال (إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهـــم) رواه مسلم .
رابعاً : لا ترفع أعمال المتهاجرين .
قال (تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس ، فيغفر الله لكل امرىء لا يشرك بالله شيئاً ، إلا امرءاً كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقول : أنظروا هذين حتى يصطلحا) رواه مسلم .
خامساً : معرفة فضل من بدأ منهما بالسلام .
قال (وخيرهمــا الذي يبدأ بالســلام) .
فائدة :
والهجر لا يجوز مطلقاً في الأمور الدنيوية ، أما لأجل الدين فيجوز إذا كان لمصلحــة وفيه منفعـــة ، وقد هجر النبي الثلاثة الذين خلفوا ، وأمر بهجرهــم .
6- تحريم بيع المسلم على بيع أخيـــه .
أولاً : تحريم أن يبيع الإنسان على بيع إنسان آخر .
لقوله : (ولا يبع بعضكم على بيع بعض).
مثال ذلك : أن يشتري شخص من إنسان سـلعة بعشـرة ، فيـأتيه آخـر ويقـول : أعطيك مثلها بتسعة ، أو يقول : أعطيك أحسن منها بعشرة .
فهذا حرام ولا يجوز .
ثانياً : ومثله الشراء على شراء أخيه .

مثال ذلك : علمتُ أن زيــداً باع على عمر بيته بـ 100 ، فذهبت إلى زيد وقلـت له : يا فلان ، أنت بعت بيتك على عمر بـ 100 ، أنا سأعطيك 120 .
ثالثاً : هل يجوز البيع على بيع الكافر ؟ اختلف العلماء على قولين :
القول الأول : يجوز .
لقوله : (ولا يبع الرجل على بيع أخيه) والكافر ليس أخاً .
القول الثاني : لا يجوز .
وهذا مذهب جماهير العلماء .
قالوا : وأما قوله : (لا يبع الرجل على بيع أخيه) فهذا قيد أغلبي لا مفهوم له .
رابعاً : الحكمة من النهي :
قطع العدوان على الغير ، واجتناب ما يؤدي إلى العداوة والبغضاء .
خامساً : ما حكم هذا البيع ؟ اختلف العلماء :
القول الأول : أنه صحيح مع الإثم .
وهذا مذهب الجمهور كما ذكر ذلك الشوكاني .
القول الثاني : أنه باطل .
وهذا مذهب المالكية والحنابلة ورجحه ابن حزم .
7- وجوب أن نكون إخواناً في الله ، لقوله وكونوا عباد الله إخوانا .
قال ابن رجب رحمه الله : " هذا ذكره النبي كالتعليل لما تقدم ، وفيه إشارة إلى أنهم إذا تركـــوا التحاسد والتناجش والتباغض والتدابر وبيع بعضهم على بعض كانوا إخواناً " .
س- وكيف نحقق الإخوة ؟
أن نفعل كل ما يقوي الإخوة كالسلام ، وتشيت العاطس ، وعيادة المريض ، وتشييع الجنازة ، وإجابة الدعوة ، والنصح بالغيب .
ونبتعد عن كل ما يضعف الإخوة أو يزيلها كالتباغض ، والحسد ، والغش .
وقد جاءت نصوص تدل على أن المؤمنين إخوة :
قال تعالى إنما المؤمنون إخوة .
وقال (المسلم أخو المسلم) .
8- من مقتضيات الإخوة : عدم الظلم ، وعدم الخذلان ، وعدم الكذب ، وعدم الاحتقار .
عدم الظلم : سبق في حديث (فلا تظالموا) .
عدم الخذلان : لقوله (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قالوا يا رسول الله : أنصره مظلوماً ، فكيف أنصره ظالماً ؟ قال : تمنعــه من الظلم فذلك نصرك إياه) متفق عليه .
عدم الكذب : فلا يجوز أن يكذب على أخيه المسلم ، بل لا يحدثه إلا صدقاً .
والكذب محرم وهو من قبائح الذنوب .
قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم .
وقال تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .
وقال (إن الكذب يهدي إلى الفجــور ، وإن الفجــور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) متفق عليه .
وقال (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، ..) متفق عليه .
وقال (ويل للذي يحدث فيكذب ، ليضحك القوم ، ويل له ويل له) رواه أبو داود .
عدم الاحتقار : فلا يجوز للمسلم أن يحتقر وأن يستصغر أخاه المسلم .
وهو ناشىء عن الكبر ، كما قال النبي (الكبر بطر الحق وغمط الناس) رواه مسلم .
وغمط الناس : الطعن عليهم وازرداؤهم .

وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهــن .
وقال كما في هذا الحديث (بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم) يعني يكفيه من الشر احتقاره أخاه المسلم ، فإنه إنما يحقر أخاه المسلم لتكبره عليه ، والكبر من أعظم خصال الشر .
9- أن المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه .
دمه : سبقت الأدلة على تحريم قتل المسلم بغير حق .
ماله : لا يجوز أخذ مال المسلم بغير حق .
قال تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل .
وقال (لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفس منه) رواه البخاري .
عرضه : فلا يجوز أن يغتابه .
والغيبة حرام بالكتاب والسنة والإجماع .
قال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه .
وقال (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا) متفق عليه .
وعن أنس . قال : قال رسول الله (لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم) رواه أبو داود .
وعن عائشة قالت : (قلت للنبي : حسبك من صفية كذا وكذا [قال بعض الرواة : تعني قصيرة] فقال : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجتــه) رواه أبو داود .
قال النووي : " هذا الحديث من أبلغ الزواجــر عن الغيبــة " .
من أقوال السلف :
قال البخاري : " ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة حرام " .
قال يحيي بن معاذ : " ليكن حظ المؤمن منك ثلاثاً : إن لم تنفعه فلا تضره ، وإن لم تفرحــه فلا تغمـــه ، وإن لم تمدحــه فلا تذمــه " .
واغتاب رجل عند معروف الكرخي فقال له : " اذكر القطــن إذا وضع على عينيك " .
وقيل للربيع بن خثيم : " ما نراك تعيب أحداً ؟ فقال : لست عن نفسي راضياً فأتفرغ لذم الناس " .
وقال ابن المبارك : " لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت والديّ لأنهما أحق بحسناتي " .

الحديث السادس والثلاثـــون

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ،

وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) رواه مسلم .

معاني الكلمات :
نفس : فرج .
كربة : الشدة العظيمة .
يسر : سهل .
معسر : المعسر من أثقلته الديون وعجز عن وفائها .
عون العبد : إعانته وتسديده .
ما كان العبد : ما دام .
سلك طريقاً : يشمل الطريق الحسي والمعنوي .
السكينة : الطمأنينـة .
حفتهم : أحاطت بهم .
الملائكة : عالم غيبي خلقوا من نور عملهم عبادة الله .
بطأ : أخر .

الفوائد :
1- فضل تنفيس الكرب عن المؤمنين ، وهذا يشكل كل كربة سواء في البدن أو في المال .
كإقراضه مال ، أو فك أسره ، أو الوقوف معه في محنته .
2- أن التنفيس والتفريج عن المسلمين من أسباب التنفيس والنجاة من كرب يوم القيامة .
وأسباب النجاة من كرب يوم القيامة كثيرة :
منها : التنفيس عن المسلمين .
لحديث الباب (من نفس عن مؤمن كربة .....) ..
ومنها : إنظار المعسر أو الوضع عنه .
قال (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينظر معسر أو يضع عنه) رواه مسلم
ومنها : الوفاء بالنذر ، وإطعام الطعام لله .
قال تعالى يوفـــون بالنــذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ، ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . إنما نطعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً . إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً . فوقاهم الله شر ذلك اليوم .. .
3- أن الجزاء من جنس العمل ، فكما نفس عن مسلم في الدنيا ، جزاه الله أن نفس عنه كربة من كرب يوم القيامة .
وهذه قاعدة عظيمة في الشرع وهي أن الجزاء من جنس العمل .
قال (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) .
وقال (من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة) .
4- إثبات يوم القيامة ، وسمي بذلك :
أولاً : لأن الناس يقومون من قبورهم .
قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين .
ثانياً : ولقيام الأشهاد .
لقوله تعالى ويوم يقوم الأشهاد .
ثالثاً : ولقيام الملائكة .
لقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفاً .

5- أن في يوم القيامة كرباً عظيمة .
قال تعالى وكان يوماً على الكافرين عسيراً .
وقال تعالى على الكافرين غير يسير .
وقال سبحانه يقول الكافرون هذا يوم عسر .
وقال (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهـــم) رواه مسلم .
قال القحطاني رحمه الله :
يوم القيامة لو علمتَ بهولــه لفررت من أهلٍ ومن أوطـــــانِ
يومٌ تشققت الســـماء لهوله وتشيب منه مفارق الولـــــــدان
يوم عبوس قمطريرٌ شـــرهُ في الخلقِ منتشرٌ عظيم الشأنِ
6- فضل التيسير على المسلمين ، وخاصة المعسرين . وأن من يسر على معسر جازاه الله بأمرين :
التيسير في الدنيـــــا – والتيسير في الآخــرة .
والتيسير على المعسر الذي لا يملك شيئاً واجب ، ولا يجوز مطالبته .
لقوله تعالى وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميســـرة .
7- فضل الستر على المسلم .
وقد قال (من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورتــه حتى يفضحــه بها في بيته) رواه ابن ماجه .
وقال (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه ، لا تغتابـــوا المسلمين ، ولا تتبعـــوا عوراتهــم ، فإنه من اتبــع عوراتهــم تتبــع الله عورتــه ، ومن تتبــع الله عورتــه يفضحــه في بيتــه) رواه أبو داود .
قال الإمام مالك : " أدركت بهذه البلدة _ يعني المدينة _ أقواماً ليس لهم عيوب ، فعابـــوا الناس فصارت لهم عيوب ، وأدركت بهذه البلدة أقواماً كانت لهم عيوب ، فسكتوا عن عيوب الناس فنسيتْ عيوبهم " .
قال ابن رجب رحمه الله : " واعلم أن الناس على ضربين :
أحدهما : من كان مستوراً لا يعرف بشيء من المعاصي ، فإذا وقعت منه هفوة أو زلة ، فإنه لا يجوز هتكها ولا كشفها ولا التحدث بها ، لأن ذلك غيبة محرمـــة ، وهذا هو الذي وردت فيه النصـــوص .
ومثل هذا لو جاء تائباً نادماً ، وأقر بحده ، لم يفسره ولم يستفسره ، بل يؤمر بأن يرجــع ويستر نفســه ، كما أمر النبي ماعزاً والغامديــة .
والثاني : من كان مشتهراً بالمعاصي معلناً بها ، ولا يبالي بما ارتكـــب منها ، ولا بما قيل له ، هذا هو الفاجر المعلن ، ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره ، لتقام عليه الحدود ، ومثل هذا لا يشفع له إذا أخذ ولو لم يبلغ السلطان ، بل يترك حتى يقام عليه الحد ، ليكشف ستره ، ويرتدع به أمثاله " .
8- عــون الله لمن أعان مســلماً ، لكن هذا مقيد بما إذا كان على البر والتقوى لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وأما إذا كان على إثم فحرام ، لقوله تعالى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان . وأما إذا كان على أمر مباح فهذا من الإحسان لقوله تعالى وأحسنوا إن الله يحب المحسنين .
9- أن سلوك طريق العلم مؤد إلى الجنــة ، وهذا الطريق يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي ، وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلماء ، ويدخل فيه سلوك الطرق المعنويــة إلى حصول العلم ، مثل : حفظه ، ومدارستــه ، ومذاكرته ، ومطالعتــه ، وكتابته .
10- فضل طلب العلم ، وأنه من أسباب دخول الجنة ، وللعلم فضائل كثيرة :
أولاً : أنه من أسباب دخول الجنة .

لحديث الباب .
ثانياً : من أسباب الرفعة .
قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات .
ثالثاً : أن الله لم يأمر نبيه بالاستزادة إلا من العلم .
قال تعالى وقل رب زدني علماً .
قال ابن القيم : " وكفى بهذا شرفاً للعلم أن أمر نبيـــه أن يسأله المزيد منه " .
رابعاً : أن الله استشهدهم وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة .
قال تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط .
قال القرطبي : " هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء ، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء " .
خامساً : أن العلم دليل على الخير .
قال (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) متفق عليه .
قال الحافظ ابن حجر : " يفقهه : أي يفهمه ، ومفهوم الحديث أن من لم يتفقـــه في الدين _ أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع _ فقد حرم الخير " .
سادساً : أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم .
قال (وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع) رواه أبو داود .
قال ابن القيم : " ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعاً له وتوقيراً وإكراماً لما يحمله من ميراث النبـــوة " .
قال الخطابي : " وفي معنى وضعها أجنحتها ثلاثة أقوال :
أحدها : أنه بسط الأجنحـــة . الثاني : أنه بمعنى التواضع تعظيماً لطالب العلم . الثالث : أنه المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران " .
سابعاً : العلماء ورثة الأنبياء .
قال (وإن العلماء ورثـــة الأنبيـــاء) رواه أبو داود .

ثامناً : فضل العلم أفضل من فضل العبادة .
قال (فضل العلم خير من فضل العبادة) رواه الطبراني .
من أقوال السلف .
قال علي : " كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنـــه ويفرح به إذا نسب إليه " .
وقال معاذ : " تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارستـــه تسبيح " .
وقال الشافعي : " ليس شيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم " .
وقال : " من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم " .
وقال سهل بن عبد الله : " من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء " .
وقال الزهري : " ما عبد الله بمثل الفقـــه " .
وقال الثوري : " ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النيـــة " .
11- فضل الاجتمـــاع على ذكر الله ومدارســـة القرآن .

قال ابن رجب رحمه الله : " هذا يدل على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومدارستـــه ، وهذا إن حمل على تعلم القرآن وتعليمه فلا خلاف في استحبابه " .
وفي صحيح البخاري عن عثمان عن النبي (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) .
وقال أبو عبد الرحمن السلمي : " فذلك الذي أقعدني في مقعدي هذا " .
وكان قد علم القرآن في زمن عثمان بن عفان حتى بلغ الحجاج بن يوسف .
وكان النبي أحياناً يأمر من يقرأ القرآن ليسمع قراءته ، كما كان ابن مسعود يقرأ عليه ، وقال : (إني أحب أن أسمعه من غيري) .
وكان عمر يأمر من يقرأ عليه وعلى أصحابه وهم يستمعون ، فتارة يأمر أبا موسى ، وتارة يأمر عقبة بن عامر .
وجاءت أحاديث تدل على فضل الإجتماع على ذكر الله مطلقاً :
ففي الصحيحين عن أبي هريرة . عن النبي قال (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون حلق الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا .. الحديث وفيه : فيقول الله : أشهدكم أني غفرت لهم) .
وفي صحيح مسلم عن معاوية (أن رسول الله خرج على حلقة من أصحابه ، فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده لما هدانا للإسلام ومنّ علينا به ، فقال : آلله ما أجلسكم إلا ذلك ، قالوا : آلله ما أجلسنا إلا ذلك ، قال : أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة)
قال ابن القيم رحمه الله : " أن مجالس الذكر مجالس الملائكة ، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه " ، ثم ذكر حديث (إن لله ملائكة سيارة) .
وقال : " فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم ، فلهم نصيب من قوله : وجعلني مباركاً أينما كنت ، فهكذا المؤمن مبارك أين حل ، والفاجر مشؤوم أين حل " .
12- أن من جلس في بيت من بيوت الله لذكر الله وقراءة القرآن ، فإنه يحصل على أربع مزايا :
الأولى : تتنزل عليهم السكينة .
ففي الصحيحين عن البراء بن عازب قال (كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس ، فتغشتـــه سحابة فجعلت تدور وتدنو ، وجعل فرسه ينفر منها ، فلما أصبح أتى النبي فذكر ذلك له ، فقال : تلك السكينة تنزل للقرآن) .
الثانية : غشيان الرحمـــة .
الثالثة : أن الملائكة تحف بهم .
الرابعة : أن الله يذكرهم فيمن عنده .
قال ابن رجب رحمه الله : " وهذه الأربـــع لكل مجتمعين على ذكر الله ، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد كلاهما عن النبي قال : إن لأهل الذكر تعالى أربعاً : تنزل عليهم السكينة ، وتغشاهم الرحمة ، وتحف بهم الملائكة ، ويذكرهم الرب فيمن عنده) " .
13- أن من ذكر الله ذكره الله .
كما قال تعالى فاذكروني أذكركم .
وقال (قال تعالى : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) متفق عليه .

14- الحث على تدبر القرآن وتفهمه .
قال ابن تيمية : " المطلـــوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به ، فإن لم تكن هذه همته لم يكن من أهل العلم والدين " .
قال ابن القيم : " فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر " .
وقال النووي : " وينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع ، فهذا هو المقصود المطلوب ، وبه تنشرح الصدور ، وتستنير القلوب " .
وقال الحسن البصري : " يا ابن آدم كيف يرق قلبك ، وإنما همتك في آخر السورة " .
وقال إبراهيم الخواص : " دواء القلوب في خمسة : ... وذكر منها : قراءة القرآن بالتدبر " .
وقد ذم النبي الخوارج بقوله : (يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم) أي أنهم يأخذون أنفسهم بقراءة القرآن وإقرائه وهم لا يتفقهون فيه ولا يعرفون مقاصده .
15- أن العبرة بالإيمان والعمل الصالح لا الأحساب والأنساب ، فالله رتب الجزاء على الأعمال لا على الأنساب .
قال تعالى من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها .
وقال تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكـــم .
وقال (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) .
وقال (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) رواه مسلم .
وعن أبي هريرة . قال : قال رسول الله حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الأقربين : (يا معشر قريش ! اشتروا أنفسكم من الله ، فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً ، .... ، يا فاطمة بنت محمد ، سليني ما شئت ، لا أغني عنك من الله شيئاً) متفق عليه .

الحديث السابع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما . عن النبي فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال (إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بيّن ذلك ، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها ، كتبها عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة) رواه البخاري ومسلم .

معاني الكلمات :
إن الله كتب الحسنات والسيئات : الكتابة بمعنى التدوين والإحصاء ، والمراد أنها مكتوبة على العبد في الأزل .
ثم بين ذلك : أي فصله .
فمن هم : الهم هو الإرادة والقصد .

الفوائد :

1- في هذا الحديث بيان كتابة الحسنات والسيئات والهم بالحسنة والسيئة ، وأنها تنقسم إلى أنواع :

النوع الأول : أن يعمل الحسنة .

فهذا يضاعفها الله له إلى عشر حسنات .

كما قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها .

وقد يضاعفها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة .

كما قال تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم .

وعن ابن مسعود قال (جاء رجل بناقة مخطومـــة ، فقال : يا رسول الله ! هذه في سبيل الله ، فقال : لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة) رواه مسلم .

وفي حديث الصيام (إلا الصيام ، فإنه لي وأنا أجزي به) متفق عليه .

قال ابن رجب رحمه الله : " أن مضاعفة الحسنات زيادة على العشر تكون بحسب حسن الإسلام ، ويكون بحسب كمال الإخلاص ، وبحسب فضل ذلك العمل في نفسه ، وبحسب الحاجـــة إليه " .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" (إلى سبعمائة ضعف) وهذا تحت مشيئة الله تعالى ، فإن شاء ضاعف هذا ، وإن شاء لم يضاعف " .

النوع الثاني : الهم بالحسنة فلم يعملها فإنها تكتب له حسنة كاملة من غير تضعيف .

كما في حديث الباب .

وفي رواية (إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة ، فأنا أكتبها له حسنة) .

والمراد بالهم العزم المصمم الذي يوجد معه الحرص على العمل لا مجرد الخاطر .

مثال : أراد أن يذهب لمجلس علم ، فمرض أحد أهله فانشغل به .

وكمن أراد أن يتصدق بصدقة فلم يجد معه دراهم ، وكان يظن وجودها .

النوع الثالث : أن يعمل السيئـــة ، فهذا تكتب عليه سيئة واحدة من غير مضاعفة .

كما في حديث الباب (وإن هم بسيئة فعملها كتبها الله سيئة واحدة) .

وقال تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون .

النوع الرابع : الهم بالسيئة ثم يتركها خوفاً من الله ، فهذا تكتب له حسنة .

كما في حديث الباب (وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة) .

وقد جاء في رواية (إنما تركها من أجلي أو من جرائي) .

مثل قصة الذي همّ بابنـــة عمه بسوء فتركها لله ، فأجاب الله دعاءه وفرج همه فانفرجت الصخـــرة .

- **قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " من هم بالسيئة وسعى في تحصيلها لكن عجز عنها ، فهذا يكتب عليه وزر السيئة كاملاً ، دليل ذلك ، قول النبي : إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ، قالوا : يا رسول الله ! هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه " .**

2- عظم فضل الله ورحمتـــه بعباده .

فمن رحمته : أن الحسنة مضاعفة ، والسيئة لا تضاعف .
ومن رحمته : جعل أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعــة .
ومن رحمته : ما جاء في قوله (إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهــوا عليه) .
ومن رحمته : ما جاء في حديث (وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركتــه الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائــم ولم تحل لأحد قبلي) .
ومن رحمته : أن أمة الإسلام هي أقل الأمم عملاً ، وأكثرهم أجراً .
3- جاء في رواية في آخر الحديث (ولا يهلك على الله هالك) ، قال ابن رجب رحمه الله : " يعني بعد هذا الفضل العظيم من الله والرحمــة الواسعــة منه بمضاعفة الحسنات والتجاوز عن السيئات ، لا يهلك على الله إلا من هلك ، وألقى بيده إلى التهلكة ، وتجرأ على السيئات ، ورغب عن الحسنات ، وأعرض عنها " .
4- أسلوب الترغيب والترهيب من أفضل أساليب التربية .
5- اطلاع الملائكــة على ما يهــم به الإنسان .
6- على المسلم أن ينوي فعل الخير دائماً وأبداً ، لعله يكتب له أجره وثوابه .
7- الإيمان باللوح المحفوظ .
8- إحصاء الحسنات والسيئات على الإنسان .
واختلف العلماء هل تكتب الملائكة المباح ؟
فقيل : تكتب ما فيه ثواب وعقاب .
وقيل : تكتب كل شيء من الكلام ، ورجحه ابن كثير .
لعموم قوله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .
ولقوله (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه) رواه أحمد .
9- الحث على العمل الصالح والمسارعــة فيه .
10- أعظم التجارة العمــل الصالح .

الحديث الثامن والثلاثون

عن أبي هريرة . قال : قال رسول الله (إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضتــه عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنــه) رواه البخاري .

معاني الكلمات :
عادى : أي آذى .
ولياً : الولي : هو المؤمن التقي كما بينه الله بقوله ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون .
آذنته : أعلمتــه .

كنت سمعه الذي يسمع به : أي أن الله يسدده في هذه الجوارح فلا يستعملها إلا في طاعته .

الفوائد :
1- فضيلة أن يكون الإنسان ولياً من أولياء الله .
وولاية الله ليست بالدعاوى والكلمات وإنما بالعمل وبشروطهـا :
أولاً : الإيمان بالله .
ثانياً : تقوى الله .
قال تعالى ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقـــــون .
2- وجوب محبة الله .
قال تعالى إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبــون .
من صفات أولياء الله :
أشداء على الكفار – رحماء بينهم . قال تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحمـــاء بينهـم .
3- تحريم معاداة أولياء الله .
4- وجوب معاداة أعداء الله وعدم محبتهــم .
قال تعالى لا تتخـــذوا عدوي وعدوكـــم أولـــيـــاء .
5- أن أفضل ما يتقرب العبد لربه بالفرائض .
الصلاة الفرض أفضل من الصلاة النفل .
والصوم الفرض أفضل من الصوم النفل وهكذا .
وأفضل فرائض البدن التي تقرب إلى الله الصلاة ، كما قال تعالى واسجد واقترب وقال (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) .
قال عمر بن الخطاب : " أفضل الأعمال أداء ما افترض الله ، والورع عما حرم الله ، وصدق النية فيما عند الله " .
6- الأعمال الصالحـــة تتفاضل من حيث الجنس ومن حيث النوع .
فمن حيث الجنس : الفرائض أحب إلى الله من النوافل .
ومن حيث النوع : الصلاة أحب إلى الله مما دونها من الفرائض .
7- إثبات المحبة الله ، محبة تليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تشبيه ولا تمثيل .
قال تعالى إن الله يحب المحسنين .
وقال تعالى إن الله يحب المتقين .
وقال (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) .
8- أن من أسباب محبـــة الله كثرة النوافـــل لقوله (ولا يزال يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه) .
وهناك أسباب تجلب محبة الله :
منها : كثرة النوافل .
كما في حديث الباب .
قال ابن القيم : " التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة " .
ومنها : متابعة الرسول .
قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله .

قال أبو سليمان الداراني : " لما ادّعت القلوب محبة الله ، أنزل آية المحنة قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله " .
ومنها : الذلة على المؤمنين .
ومنها : العزة على الكافرين .
ومنها : الجهاد في سبيل الله .
ومنها : لا يخافون لومة لائم .
قال تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونـــه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لا ئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم .
قال ابن القيم : " فذكر لهم أربع علامات :
أحدها : أذلة على المؤمنين ، قيل معناه أرقاء ، وقيل : رحماء مشفقين عليهم ، عاطفين عليهم .
العلامة الثانية : أعزة على الكافرين ، قال عطاء : للمؤمنين كالوالد لولده ، والعبد لسيده ، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته (أشداء على الكفار رحماء بينهم) .
العلامة الثالثة : الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد ، واللسان ، والمال ، وذلك تحقيق دعوى المحبة .
العلامة الرابعة : أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم ، وهذا علامة صحة المحبة " .
ومنها : كثرة ذكره سبحانه ، لأنه من أحب شيئاً أكثر من ذكره .
ومنها : قراءة القرآن بالتدبر والتفهم .
لأنه ما تقرب المتقربون بمثل ما خرج من الله ، وهو القرآن .
قال خباب : " تقرب إلى الله ما استطعت ، واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليـــه من كلامـــه .
لا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم ، فهو لذة قلوبهم وغاية مطلوبهم " .
كان بعضهم يكثر تلاوة القرآن ، ثم اشتغل بغيره ، فرأى في المنام قائلاً يقول :

إن كنتَ تزعمُ حبي فلم جفوتَ كتابي
أمـــا تأملت ما فيـــــه من لطيـــــف عتـــابي

9- فضل المداومة والاستمرار على العمل الصالح ، لقوله (ولا يزال عبدي يتقرب ..) فلا يعتبر الإنسان متقرباً إلى الله بالنوافل محافظاً عليها إلا باستمراره على هذه الطاعة ، وإلا فلا يعتبر متقرباً إلى الله بالنوافل .
فالعمل الصالح المستمر مهم لأمرين :
أولاً : أن هذا هو هدي النبي .
عن عائشة . قالت (كان رسول الله إذا عمل عملاً أثبتـــه) رواه مسلم .
ثانياً : أن الأعمال المداوم عليها أحب إلى الله .
قال : (أحب الأعمال إلى الله أدومهـــا وإن قل) متفق عليه .
وإذا كان العمل الصالح مداوماً عليه ، فإنه يكون له آثاراً إيجابية :
منها : دوام اتصال القلب بالله .
ومنها : سبب لمحبة الله .
ومنها : سبب للنجاة من الشدائد .
كما قال : (من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء) رواه الترمذي .

10- أن الله إذا أحب إنساناً وفقه وسدده ، ففي بصره فلا يرى إلا خيراً ، وفي سمعه فلا يسمع إلا خيراً ، وفي يده فلا يبطش إلا على حق . وفي رجله فلا يمشي إلا إلى خير . وإذا سأله أعطاه وأجاب دعاءه ، وأعاذه مما يكره .
وقد كان كثير من الصحابة مجابوا الدعـــوة : مثل سعد بن وقاص ، وسعيد بن زيد .
ـ عن جابر بن سمرة قال : (شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمـر رضـي اللـه عنـه، فعزله واستعمل عليهم عماراً ، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي ، فأرسل إليه فقال: يا أبـا إسـحاق إن هـؤلاء يزعمـون انـك لا تحسـن تصـلي ؟ قـال أبـو إسحاق: أما أنا ، والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ما أخـرم عنهـا ، أصلي صلاة العشاء ، فأركـد فـي الأوليـن ، وأخـف فـي الأخريـن. قـال : ذاك الظن بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلاً ، أو رجالاً ، إلـى الكوفـة ، فسـأل عنـه أهل الكوفة ، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ، ويثنون معروفاً ، حتى دخل مسـجدا لبني عبس ، فقام رجل منهم ، يقال له أسامة بن قتادة ، يكنى أبا سعدة ، قال : أما إذ نشدتنا ، فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ، ولا يقسـم بالسـوية ، ولا يعـدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً ، قام رياءً وسمعةً ، فأطل عمره ، وأطل فقره ، وعرضـه بـالفتن . وكـان بعـد إذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون ، أصابتني دعـوة سـعد. قـال عبـد الملـك : فأنـا رأيته بعد ، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وإنـه ليتعـرض للجـواري فـي الطرق يغمزهن) . رواه البخاري
ـ عن عروة : (أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد بن زيد أنه أخـذ شـيئاً مـن أرضها ، فخاصمته إلى مروان بن الحكم ، فقال سعيد : أنا كنت آخذ مـن أرضـها شيئاً بعد الذي سمعت من رسول الله ؟ قال : وما سمعت من رسـول اللـه ؟ قال : سمعت رسول الله يقول : " من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقه إلـى سبع أرضين " فقال له مروان : لا أسألك بينة بعد هذا ، فقال : اللهـم إن كـانت كاذبة فعمّ بصرها ، واقتلها في أرضها . قال : فما ماتت حتى ذهب بصرها ، ثـم بينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت) . رواه مسلم

الحديث التاسع والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله قال (إن الله تجـــاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيـــان ، وما استكرهـــوا عليه) حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما .

معاني الكلمات :
تجاوز : عفا .
أمتي : أمة الإجابـــة .
الخطأ : وهو ضد العمد وهو أن يفعل الشيء يظن صوابه فيتبين ضد قصده .
والنسيان : الذهول عن الشيء .
وما استكرهوا عليه : الإكراه : هو إلزام الشخص بما لا يريد .

الفوائد :

1- سعة رحمة الله بعباده ، حيث رفع الإثم عنهم إذا صدرت المخالفة نسياناً أو خطأ أو إكراهاً .
2- أن جميع المحرمات إذا فعلها الإنسان جاهلاً أو ناسياً أو مكرهاً فلا شيء عليه فيما يتعلق بحق الله ، أما حق الآدمي فلا يعفى عنه من حيث الضمان .
أمثلة :
- رجل قص شعره وهو محرم جاهلاً ، فلا شيء عليه .
- رجل تكلم بالصلاة ناسياً ، فصلاته صحيحة ولا شيء عليه .
- رجل قتل شخص آخر عمداً ، فلا إثم عليه ، وإن كان هذا لا يعفيه من المطالبة بالدية والكفارة .
- رجل أكره على الأكل والشرب في نهار رمضان ، فصومه صحيح ولا شيء عليه .
- رجل أكل في نهار رمضان ناسياً ، فصومه صحيح ولا شيء عليه .
- رجل نسي صلاة ، فلا إثم عليه ويقضيها .
3- أن هذه الأمور الثلاثة : الخطأ ، والنسيان ، والإكراه سبب للتخفيف ومنع التكليف :
الأول : النسيان :
وهو ذهول القلب عن الشيء وعدم تذكره .
والدليل على أنه سبب للتخيف ومانع من موانع التكليف .
قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، قال الله تعالى كما في صحيح مسلم (قد فعلت) .
ولحديث الباب .
الثاني : الخطأ .
وهو ضد العمــد .
والدليل على أنه سبب للتخفيف ومانع من موانع التكليف .
قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا .
وقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم .
حديث الباب .

الثالث : الإكراه .
وهو : حمل الغير على أمر لا يرضاه لو خلي ونفسه ، بارتكاب النهي أو ترك الأمر .
والدليل على أنه سبب للتخفيف ومانع من موانع التكليف .
قوله تعالى إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمــان .
ولحديث الباب .
فمن أكره على طلاق زوجته ، فإنها لا تطلق .
من أكره على الكفر ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، فلا شيء عليه .
شروط الإكراه ليكون سبباً للتخفيف :
أولاً : أن يكون المكرِه قادر على إيقاع ما هدد به .
ثانياً : أن يكون المكرَه عاجزاً عن دفع هذا المكرِه .
ثالثاً : أن يكون هذا الإكراه مما يشق على المكرَه تحمله .
رابعاً : أن يظن أو يعلم المكرَه أن المكرِه سيوقِع ما هدد به .
4- هذه الموانــع سبب للتخفيف في حقوقَ الله ، لأنه مبني على العفو والرحمة ، وأما في حقوق الآدميين فلا تمنع من ضمان ما يجب ضمانه إذا لم يرض صاحب الحق بسقوطــه .
فائدة :

لا يكون الإكراه سبباً للتخفيف في حالة واحدة ، وهي إذا أكره على قتل شخص ، فليس له أن يقتله حتى لو أدى إلى قتله ، وحكى بعض العلماء الإجماع على ذلك ، لأن قتله له افتـــداء لنفسه فيكون باختياره .
5- بيان رحمة الله ، حيث لا يكلف نفساً إلا وسعها . أي إلا طاقتها .
6- شرف هذه الأمــة على غيرهــا .
7- النسيان من صفات الإنسان .

الحديث الأربعون

عن ابن عمر رضي الله عنه . قال : (أخذ رسول الله بمنكبيّ فقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) .
وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك . رواه البخاري .

معاني الكلمات :
أخذ : أمسك .
بمنكبيّ : المنكب : مجتمع رأس العضد والكتف .
كأنك غريب : أي مثل الغريب ، والغريب هو البعيد عن وطنه .
أو عابر سبيل : قيل : أو للتخير والأحسن ، وقيل بمعنى : بل .

الفوائد :
1- قال النووي في شرح الحديث : " معناه : لا تركن إلى الدنيا ولا تتخــذها وطناً ، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ، ولا بالاعتنــاء بها ، ولا تتعلــق منها إلا بماء يتعلق به الغريب في غير وطنه ، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله " .
2- التزهيد في الدنيا ، وأنه لا ينبغي للإنســان أن يتخذها وطناً يركن إليها ، وهــذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا ، وأن المـــــؤمن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر .
قال (ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) رواه الترمذي .
- قال بعض العلماء : فتأمل هذا المثال ، ومطابقته للواقع سواء ، فإنها في خضرتها كشجرة ، وفي سرعة انقضائها وقبضها شيئاً فشيئاً كالظل ، والعبد

مسافر إلى ربه ، والمسافر إذا رأى شجرة في يوم صائف لا يحسن به أن يبني تحتها داراً ، ولا يتخذها قراراً ، بل يستظل بها بقدر الحاجـــة ، ومتى زاد على ذلك انقطع عن الرفاق .
- وقال تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .
بين الله تعالى في هذه الآية حال الدنيا التي افتتن الناس بها الذين قصر نظرهم ، وبيّن أنها من محقرات الأمور التي لا يركن إليها العقلاء ، فضلاً عن الافتتان بها والانهماك في طلبها وقتل الوقت في تحصيلها بأنها لعب لا ثمرة فيه سوى التعب ، ولهو تشغل صاحبها وتلهيه عما ينفعـه في آخرته ، وزينة لا تفيد المفتون بها شرفاً ذاتياً ، ثم أشار سبحانه وتعالى إلى أنها مع ذلك سريعـة الزوال ، قريبة الاضمحلال ، كمثل غيث راقَ الزراع نباته الناشيء به ، ثم يهيج ويتحرك وينمو ، فسرعان ما تراه مصفراً متغيراً ذابلاً بعدما رأيتـه أخضر ناضراً ، ثم يصير من اليبس هشيماً متكسراً .
من أقوال السلف :
- قال عيسى ابن مريم : " من ذا الذي يبني على موج البحار داراً ، تلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً " .
- وقال موسى عليه الصلاة والسلام : " اعبروهـا ولا تعمروهـا " .
- وقال أبو الدرداء لأهل الشام : " يا أهل الشام ! ما لي أراكم تبنون ما لا تسكنون ، وتجمعون ما لا تأكلـون ، وتؤمّلون ما لا تدركـون ، إن الذين قبلكم بنوا مشيداً وأملوا بعيداً وجمعوا عتيداً ، فأصبح أملهم غروراً ، ومساكنهم قبوراً " .
- قال عمر بن عبد العزيز : " ألا إن الدنيا بقاؤها قليل ، وعزيزها ذليل ، وغنيها فقير ، وشابها يهرم ، وحيها يموت ، فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها ، فالمغرور من اغتر بها " .
وقال علي : " ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل واحد منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكـونـوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل " .
وقال ابن السماك : " إن الموتى لم يبكوا من الموت ، ولكنهم يبكون من حسرة الفوات ، فاتتهـم والله دار لم يتزودوا منها ، ودخلوا داراً لم يتزودوا لها " .
وقال بعض العلماء : " أيها الإنسان إنما أنت نازل من الدنيا في منزل تعمره أيام عمرك ، ثم تخليـه عند موتك لمن ينزله بعدك " .
قال الشاعر :

إن لله عبـــــــاداً فـطـنـــا الفتـنـــا	طلقوا الدنيـــا وخافـــوا
نظروا إليهـــا فلما علموا جعلوهـا لجـــة واتخـــذوا	أنـــها ليســـــــت لحـــي وطنـــا صـــــالح الأعمـــال فيها سفنـا

أحسن علاج للزهد في الدنيا وعدم الركون إليها هو قصر الأمل .
قال ابن القيم : " قصر الأمل : هو العلم بقرب الرحيل ، وسرعـة انقضاء مدة الحياة ، وهو من أنفع الأمور للقلب ، فإنه يبعثـه على معافصة الأيام ، وانتهاز الفرص التي تمر مر السحاب ، ومبادرة طيء صحائف الأعمال ، ويثير ساكن عزماته إلى دار البقاء ، ويحثـه على قضاء جهاز سفره ، وتدارك الفارط ، ويزهده في الدنيا ، ويرغبـه في الآخـرة ، فيقوم بقلبه

_ إذا داوم مطالعة قصر الأمل _ شاهد من شواهد اليقين ، يريـــه فناء الدنيا ، وسرعة انقضائها ، وقلة ما بقي منها ، وأنها قد ترحلت مدبرة ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها ، وأنها لم يبق منها إلا كما بقي من يوم صارت شمســـه على روؤس الجبال ، ويريه بقاء الآخرة ودوامـــهـــا ، وأنها قد ترحلت مقبلة ، وقد جاء أشراطها وعـــلاماتها ، وأنها مع لقائها كمســـافر قد خـــرج صاحبه يتلقاه ، فكل منهما يسير إلى الآخر ، فيوشك أن يلتقيا سريعاً " .

إلى أن قال رحمه الله :

" ويكفي في قصر الأمل :

قوله تعالى أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون .

وقوله تعالى ويوم يحشرهم كأن لم يلبثـــوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم .

وقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها .

وقوله تعالى قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون .

وقوله تعالى كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون .

وخطب النبي أصحابه يوماً والشمس على روؤس الجبال فقال : إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه " .

ثم قال رحمه الله :

" وقصر الأمل بناؤه على أمريـــن :

تيقن زوال الدنيا ومفارقتهـــا .

وتيقن لقاء الآخـــرة وبقائها ودوامها " .

- كان علي رضي الله عنه ، يشتد خوفه من اثنتين : طول الأمل ، واتباع الهوى ، قال : " فأما طول الأمل فينسي الآخـــرة ، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق " .
- وحكي في قصر الأمل أن امرأة حبيب أبي محمد قالت : " كان يقول لي – تعني أبا محمد – إن مت اليوم فأرسلي إلى فلان يغسلني ويفعل كذا وكذا ، واصنعي كذا ، فقيل لها : أرى رؤيا ؟ قالت : هكذا يقول كل يوم " .
- وعن إبراهيم بن سبط قال : " قال لي أبو زرعة : لأقولن لك قولاً ما قلتـــه لأحد سواك : ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة ، فحدثتني نفسي أن أرجـــع من ذلك " .

3- ينبغي على المسلم أن يبادر بالأعمال الصالحات قبل هجوم هاذم اللذات ، فإنه لا يدري متى يأتيـــه .

فكل أحد سيموت .

قال تعالى كل نفس ذائقة الموت .

وقال تعالى أينما تكونوا يدركـــم الموت .

ولا يعرف أحد متى سيموت .

قال تعالى وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت .

ويستحب الإكثار من ذكر الموت .

قال (أكثروا ذكر هاذم اللذات) رواه الترمذي .

فوائد ذكر الموت :

يردع عن المعاصي _ ويلين القلب القاسي _ ويذهب السرور بالدنيا _ ويزهد فيها _ ويهـــون المصـــائب _ ويبعث على الجد والاجتهــاد في العمل للآخــرة .
فالمقصود الأعظم من ذكر الموت الاستعداد له بالعمل الصالح .
قال تعالى حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثـــون .
وقال تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون .
بالموت ينقطع عمل الإنسان .
قال (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ....) رواه مسلم .
من أقوال السلف :
قال الحسن : " فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي عقل عقلاً " .
وقال بعض العلماء : " من ذكر الموت هانت عليه مصائب الدنيا " .
وقال آخر يوصي أخاً له : " يا أخي احذر الموت في هذه الدار من قبل أن تصير إلى دار تتمنى بها الموت فلا تجده " .
وقال شميط بن عجلان : " من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها " .
وقال أبو الدرداء : " إذا ذكر الموتى فعد نفسك كأحدهم " .
4- أن الإنسان ينبغي أن يستغل عمره في طاعة الله قبل حلول الآفات ،
ولهذا قال ابن عمر : " خذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك " ،
يعني : اغتنم الأعمال الصالحــة ، قبل أن يحول بينك وبينها السقم ، وفي الحياة قبل أن يحول بينك وبينها الموت .
وقد جاءت نصوص في الحث على العمل والمبادرة إليه :
ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : قال رسول الله (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ) رواه البخاري .
وقال (اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك) رواه الحاكم .
قال ابن رجب رحمه الله : " والمراد من هذا أن هذه الأشياء كلها تعوق عن الأعمال ، فبعضها يشغل عنه ، إما في خاصة الإنسان ، كفقره ، وغناه ، ومرضه ، وهرمه ، وموته ، وبعضها عام كقيام الساعة وخروج الدجال ، وكذلك الفتن المزعجــة ، كما جاء في الحديث : بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم " .
وقال عمر : " التؤدة في كل شيء خير إلا ما كان من أمر الآخـــرة " .
وكان الحسن يقول : " عجباً لقوم أمروا بالزاد ، ونودي فيهم بالرحيل ، وحبس أولهم على آخرهم ، وهم قعود يلعبـــون " .
وقال أبو حازم : " إن بضاعة الآخرة كاسدة ، يوشك أن تنفق فلا يوصل منها إلى قليل ولا كثير " .
وكانوا يبادرون بالأعمال غاية ما يمكن :
فكان ابن عمر يقوم في الليل فيتوضأ ويصلي ، ثم يغفي إغفاء الطير ، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ، ثم يغفي إغفاء الطير ، ثم يقوم يصلي ، يفعل ذلك مراراً .
وكان عمير بن هانى يسبح كل يوم مائة ألف تسبيحة .

وقال أبو بكر بن عياش : " ختمت القرآن في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة " .
5- إن الإنسان إذا لم يستغل حياته وصحته فإنه يندم حين لا ينفع الدم ، ويتمنى الرجوع فلا يستطيع .
قال تعالى أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين .
وقال تعالى حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون .
قال سعيد بن جبير : " كل يوم يعيشه المؤمن غنيمـــة " .
6- امتثل ابن عمر وصية رسول الله قولاً وعملاً .
أما قولاً ، فإنه كان يقول : " إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك " .
وأما في الفعل : فقد كان على جانب كبير من الزهد فيها والقناعـــة منها باليسير الذي يقيم صلبه ويستر بدنه ، وما سوى ذلك يقدمه لغده .
قال جابر بن عبد الله : " ما رأينا أحداً إلا قد مالت به الدنيا أو مال بها إلا عبد الله بن عمر " .
وقالت عاشة : " ما رأيت أحداً ألـــزم للأمر الأول من ابن عمر " .

الحديث الحادي والأربعون

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . قال : قال رسول الله (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح .

معاني الكلمات :
لا يؤمن أحدكم : أي الإيمان الكامل .
هواه : ما يهواه ويقصده ويحبه ، وسمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه .
تبعاً : أي تابعاً .
لما جئت به : أي من الشريعة .

الفوائد :
1- لا يكمل إيمان أحد حتى يكون هواه وميله إلى الشريعة وتحكيمها .
2- أن من كان هواه وميله لما جاءت به الشريعة فهو كامل الإيمان .
3- التحذير من اتباع الهوى .
وقد حذر الله من اتباع الهوى .
فقال تعالى يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبــع الهوى فيضلك عن سبيل الله
واتباع الهوى هو منشأ المعاصي .

قال تعالى فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهــم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله .
ومتبع الهوى ليس أهلاً أن يطاع .
قال تعالى بل اتبع الذين ظلموا أهواءهــم بغير علم .
واتباع الهوى من المهلكات .
قال (ثلاث منجيات وثلاث مهلكات : فأما المهلكات : فهوى متبع ، وشح مطاع ، وإعجاب المرء بنفســه) .
الهوى حظار جهنم المحيط بها ، فمن وقع فيه وقع .
قال (حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهـــوات) متفق عليه .
أن الله سبحانه جعل متبع الهوى بمنزلة عابد الوثن .
قال تعالى أرءيت من اتخـــذ إلهــه هواه .

4- كيفيــة التخلص من الهــوى المذموم :

أولاً : جرعة صبر يصبر نفسه على مرارتها تلك الساعــة .
ثانياً : فرحــه بغلبــة عدوه وقهره له ورده خاسئاً بغيظه وغمه وهمه حيث لم ينل منه أمنيته .
ثالثاً : أن مخالفة الهوى تورث قوة في بدنه وقلبه ولسانه .
قال بعض السلف : الغالب لهواه أشد من الذي يفتح المدينة وحده .
وفي الحديث (ليس الشديد بالصرعة ، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) متفق عليه .
رابعاً : أن جهاد الهوى من أعظم الجهاد .
قال ابن القيم : " سمعت شيخنا يقول : جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين ، فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً حتى يخرج إليهم " .

5- وجوب الاستسلام والانقياد لأوامر الله تعالى .

قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهــم .

6- أن الشريعــة كاملة .

7- الإيمان يزيد وينقص لقوله (لا يؤمن أحدكم ..) أي الإيمان الكامل .
وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات وينقص بالعصيان .
قال تعالى وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً .
وقال تعالى ليزدادوا إيماناً .
وقال تعالى ويزداد الذين آمنوا إيماناً .
وقال تعالى ليزدادوا لإيماناً مع إيمانهــم .
ووصف النبي النساء بنقصــان العقل والدين .
وكان عمر يقول : " هلمــوا نزدد إيماناً " .
وكان ابن مسعود يقول : " اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً " .
وكان معاذ بن جبل يقول لرجل : " اجلس بنا نؤمن ساعــة " .

الحديث الثاني والأربعــون

عن انس – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله يقول (قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ، لأتيتك بقرابها مغفرة) رواه الترمذي وقال حديث حسن .

معاني الكلمات :

لا أبالي : لا أهتــم .

عنان : العنان هو السحاب .

بقراب : بضم القاف أي ما يقارب ملء الأرض ذنوباً .

الفوائد :

1- في هذا الحديث الأسباب التي تحصل بها المغفرة ، وهي ثلاثة :

السبب الأول

الدعـــاء مـــع الرجـــــاء

فإن الدعاء مأمور به ، وموعود عليه بالإجابة .

قال تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم .

والدعاء عبادة .

قال (الدعاء هو العبادة) رواه أبو داود .

والله يغضب إن لم يسأل .

قال (من لم يسأل الله يغضب عليه) رواه ابن ماجه .

وينبغي حضور القلب ورجاء الإجابة .

وقد روي عن النبي أنه قال (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، فإن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه) .

ولا يستعجل الإجابة .

قال (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي) متفق عليه .

وأن يعزم المسألة .

قال (لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، ولكن ليعزم المسألة ، فإن الله لا يتعاظمـــه شيء) متفق عليه .

وللداعي إحدى ثلاث :

قال ﷺ (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس له فيها إثم أو قطيعــة رحم ، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوتــه ، وإما أن يدخرهــا له في الآخــرة ، وإما أن يكشف عنه من السوء مثلها) رواه أحمد .

السبب الثاني

وهـــو الاســـــــــتغفــار .

وهو طلب المغفرة ، والمغفرة هي وقاية شر الذنوب مع سترها .

وقد أمر الله به .

قال تعالى ﷻ واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً ﷻ .

وقال تعالى ﷻ واستغفر لذنبك ﷻ .

ومن أسماء الله : الغفور ، والغفار .

قال تعالى ﷻ نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم ﷻ .

وقال تعالى ﷻ ألا هو العزيز الغفار ﷻ .

مهما عظمت ذنوب الإنسان فإن الله يغفرها لمن تاب .

قال تعالى ﷻ إن ربك واسع المغفرة ﷻ .

والأنبياء وأهل الفضل يطلبون المغفرة من الله .

قال تعالى عن نوح ﷺ رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ﷻ .

وقال الخليل ﷺ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﷻ .

وقال موسى ﷺ قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له ﷻ .

ومدح المستغفرين .

فقال تعالى ﷻ والمستغفرين بالأسحــار ﷻ .

والنبي ﷺ كان يكثر من الاستغفار .

قال ﷺ (والله إني لأستغفر الله وأتـــوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) رواه البخاري .

وللاستغفـــار فوائد :

أولاً : تكفير السيئات ورفع الدرجات .

قال تعالى ﷻ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﷻ .

وفي الحديث القدسي (قال الله : من يستغفرني فأغفر له ..) متفق عليه .

وتقدم قوله تعالى في الحديث القدسي (فاستغفروني أغفر لكم) رواه مسلم .

ثانياً : سبب لسعـة الرزق والإمداد بالمال والبنين .

قال تعالى عن نوح أنه قال لقومه ﷺ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل أنهاراً ﷻ.

ثالثاً : سبب لحصول القوة في البدن .

قال هود لقومه ﷺ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليـــه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكـــم قوة إلى قوتكــم ولا تتـــولوا مجرمين ﷻ .

رابعاً : سبب لدفع المصائب ورفع البلايا .

قال تعالى ﷻ وما كان الله معذبهـــم وهم يستغفرون ﷻ.

خامساً : سبب لبياض القلب .

قال ﷺ (إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتــة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبــه) . رواه أحمد

من أقوال السلف :
قال بعض العلماء : " طوبى لمن وجد في صحيفتــه استغفاراً كثيراً " .
وكان ابن عمر : يطلب من الصبيان الاستغفار ويقول : إنكم لم تذنبـــوا .
وقال قتادة : " إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم ، فأما داؤكم فالذنـــوب ، وأما دواؤكم فالاستغفـــار " .

وللاستغفار صيغ منها :
- (سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء لك بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) رواه البخاري .
- (رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله ، وما أنت أعلم به مني ، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وجدي ، وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير) متفق عليه .
- (رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيـــم) .

السبب الثالث

التوحيد ، وهو السبب الأعظم .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " الإنسان إذا أذنب ذنوباً عظيمـــة ثم لقي الله لا يشرك به شيئاً غفر الله له ، ولكن هذا ليس على عمومـــه لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فقوله هنا في الحديث (لأتيتك بقرابها مغفرة) هذا إذا شاء ، وأما إذا لم يشأ فإنه يعاقب بذنبه " .
فضائل التوحيد :
أولاً : سبب لمغفرة الذنوب .
كما في حديث الباب .
ثانياً : سبب للنجاة من الشدائد .
قال تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركـــون .
ثالثاً : سبب لدخول الجنة .
قال (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخــل الجنــة) رواه مسلم .
رابعاً : لأهل التوحيد الأمن والاهتداء .
قال تعالى الذين آمنوا ولم يلبســوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون .
لم يلبسوا : لم يخلطوا . إيمانهم : توحيدهم .
بظلم : المراد به الشرك كما فسره النبي بذلك .
2- التحذير من الشرك (وقد سبقت خطورته في الحديث) .
3- أنه لا يسلم أحد من الذنوب .
4- وجوب الإيمان بلقاء الله ، لقوله (لقيتني) .
وقد قال تعالى فمن كان يرجو لقاء الله فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً .
وقال تعالى يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيــه .
فملاقيه : أي ملاقي ربك ، وقيل : ملاقي عملك .

تم الشرح ولله الحمد والمنــة

فهرس الموضوعات المهمة

م	الموضـــــــــــــــــــــوع	رقم الصفحة	م	الموضـــــــــــــــــــــوع	رقم الصفحة
1	من أقوال السلف في الإخلاص	5	28	فضل العدل بين الناس	70
2	نماذج من إخلاص السلف	5	29	فضائل التعاون	71
3	من أقوال السلف في الدنيا	6	30	فضائل إماطة الأذى عن الطريق	71
4	شروط لا إله إلا الله	13 ، 14	31	مباحث الموعظة	75
5	مسائل القلب	22	32	فضائل البكاء من خشية الله	76
6	من أقوال السلف في القلب	22 ، 23	33	مباحث الشرك	79
7	من أقوال السلف عن النصيحة	25	34	فضائل الصوم	80
8	فضائل الورع	31	35	فضائل قيام الليل	80
9	من أقوال السلف عن الورع	31	36	فضائل الجهاد في سبيل الله	81
10	فضائل الصدق	31 ، 32	37	من أقوال السلف في حفظ اللسان	82
11	من أقوال السلف في ترك ما لا يعني	33	38	مباحث في ذم الدنيا	86
12	فضائل حسن الجوار	38	39	من أقوال السلف في ذم الدنيا	86
13	آثار إيذاء الجار	38 ، 39	40	ثمرات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	92
14	علاج الغضب	40	41	خطر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	93
15	فضائل الإحسان	43	42	مباحث الحسد	96
16	ثمرات التقوى	44 ، 45	43	خطر التهاجر	98
17	فضائل حسن الخلق	45 ، 46	44	من أقوال السلف في الغيبة	100
18	أمثلة لحفظ الله لمن حفظه	47 ، 48	45	أسباب النجاة من كرب يوم القيامة	101
19	أمثلة الجزاء من جنس العمل	48	46	فضائل طلب العلم	103
20	فضائل الصبر	50	47	من أقوال السلف في طلب العلم	104
21	فضائل الحياء	52	48	أسباب تجلب محبة الله	109
22	من أقوال السلف في الحياء	53	49	قصر الأمل	114

23	فضائل الاستقامة	54	50	مباحث الموت	115
24	مباحث الميزان	59	51	من أقوال السلف في الموت	115
25	فضائل الصدقة	60	52	أضرار اتباع الهوى	117
26	وجوب الاستغفار	64	53	فوائد الاستغفار	120
27	حزن السلف على فوات الطاعة	64	54	فضائل التوحيد	121

أ